كتابك

٨٨

د. عبد الرحمن زكى

الحرب عند العرب

دار المعارف

كتابك ٨٨

رئيس التحرير أنيس منصور

د. عبد الرحمن زكى

الحرب عند العرب

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه لمحات موجزة عن «الحرب عند العرب» أكتبها فى إطار هذه السلسلة المفيدة لكى أبين فيها مراحل تطور هذه الظاهرة الاجتماعية التى واكبت البشرية منذ القدم . والحرب فى الجزيرة العربية تتسم بخصائص ومميزات معينة لأسباب كثيرة . فالحرب هنا ، موطنها البادية الفسيحة ذات الجبال الصلبة والصحارى المهيبة والهضاب المترامية والأخاديد والأودية حيث تتناثر فيها ينابيع المياه الشحيحة . . . وتلك البادية هى المدرسة الحربية الكبرى التى تدرب فيها آلاف المقاتلين قبل الإسلام وبعده ، وخازوا قدراً كبيراً من التربية العسكرية والفروسية الصادقة والقيادة المحنكة التى تنسجم هى وبيئة البادية . كما اكتسب بعض القبائل وأفادوا من مميزات المحاربين الذين يجاورونهم عند أبواب تلك البادية شمالا بشرق ، وشمالا بغرب من الفرس والروم ، فحذقوا كثيراً من أساليبهم القتالية ثم فاقوهم وانتصروا عليهم . .

ثم ظهر الإسلام ونزل القرآن وجمع الله لخلقه أدب الحرب فى قوله تعالى :

« يا أيُّها الّذِين آمنُوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فاثْبُتُوا واذكروا اللهَ كثيراً لعلّكم تُفلِحُون وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَه ولا تَنازَعُوا فتفْشَلوا وَتَذْهَب رِيحُكُمْ واصْبِروا إنِ اللهَ مَع الصَّابِرِينَ » .

ونتناول فى هذه اللمحات تطور فن الحرب عندَ العرب بين القرنين السادس والعاشر ، مبتدئين بحرب البادية وأيام العرب فى الجاهلية متحدثين عن أساليب القتال فى فجر الإسلام تحت قيادة أكرم الرسل أجمعين ، ذاكرين أهم مزاياه وغزواته التى كانت بمثابة معهد كبير لتطبيق ما جاء فى أى الذكر الحكيم عن الجهاد وقواعده ، راجعين إلى إيضاح مفاهيم الحرب عند الطبرى والماوردى وابن خلدون .

وفى فصل تال نصف أساليب الحرب فى أثناء حكم الخلفاء الراشدين ، وما ابتكر فى أيامهم من النظم والتعبئات والأخذ بمبادئ القتال ، وقد ترك للقادة الكبار من أمثال خالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص والمثنى بن حارثة وغيرهم أن يدخلوا ما يرونه صالحاً لنجاح الحملات العسكرية وتكلمنا عن أسلحة القتال والعتاد الحربى وكان لا يختلف كثيراً عما كان معروفاً لدى الشعوب غير العربية .

كذلك عالجنا تطور التعبئة فى أيام الأمويين ، وهناك نظم عسكرية أخرى كانت من أهم أسباب النصر بفضل كوكبة متألقة من كبار القادة الأفذاذ طوّروا نظم التجنيد ، وأعطيات المقاتلين وأحوال معيشتهم . كما

تحدثنا عما أصاب الجهاز الحربى من تعديل فى أثناء العصر العباسى الأول الزاهر بعد القضاء على الجيش الأموى واتخاذ بغداد قاعدة للدولة العربية الكبرى .

نسأل الله التوفيق .

عبد الرحمن زكى

الجهـــــاد

الجهاد فى الإسلام هو القتال ، والإسلام دين السلام ، ومع ذلك فقد سن أسس الحرب ، سواء أكانت شاملة أم محدودة كما جاء فى القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ .

وقد مارس العرب الحرب الشاملة منذ أيام الرسول القائد حينما أقاموا الدولة العربية الكبرى[1] ، قال الله تعالى فى كتابه المنزل (انفروا خفافاً وثقالاً ، وَجاهِدُوا بأموالكم وأنفسِكُم فى سَبِيلِ اللهِ ، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون)[2] وتقرر هذه الآية أسس الحرب الشاملة بإحكام وإيجاز .

والجهاد فى الإسلام «فرض كفاية» لا «فرض عين» . وفرض الكفاية هو الواجب الذى يفرض على الجماعة باعتبارها كُلاً ، وإنما يصبح واجباً على كل فرد بعينة من حيث إن مشاركته فى الجهاد تكون لازمة لتحقيق الغرض الذى تصوّره الشرع[3] . . .

والجهاد فى الإسلام له قواعد شرعها القرآن والأحاديث . . فهو

---

(١) لواء ركن محمود شيت خطاب : الحرب الإجماعية فى الاسلام – مجلة الأزهر ص ٢٠٥ – ٢٠٧ – عدد فبراير ١٩٧٧ .

(٢) سورة التوبة – الآية ٤١ ، ومعنى خفاقاً وثقالاً أى الركبان والمشاة .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية) مادة جهاد .

يأذن فى الكفاح وخوض القتال دفعاً للظلم وردًّا للعدوان وذوداً عن الأوطان ، «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِموا وإنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا من دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلاَّ أن يَقُولُوا رَبُّنا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِد يُذْكَرُ فِيها اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ» [سورة الحج ٣٩ و ٤٠] .

وإذا وقع العدوان ودعا داعى القتال ، وجب على المسلمين أن يهبوا إلى الجهاد متحدى الكلمة والإيمان بأنهم على الحق وأن الله معهم ، وأن كفاحهم ينتهى حتماً بالنصر أو الشهادة ، يقول الله تعالى : «يا أَيُّها النَّبِىُّ حَرِّض المُؤْمِنينَ عَلَى الْقِتالِ إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُون يَغْلِبُوا مائتين وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مائَةٌ يغلِبُوا أَلفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ، الآن خَفَّفَ اللهُ عنكم وَعَلِمَ أن فِيكُم ضَعْفاً فإنْ يَكُن مِنكُم مائَةٌ صابرةٌ يَغْلِبُوا مائتَيْنِ وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . .) . [سورة الأنفال ٦٥ – ٦٦]

تلك هى قوة الروح المعنوية التى دفعت المسلمين الأولين إلى التضحية ، ثم أكسبتهم السيادة والظفر .

وشرع القرآن الكريم الاستعداد والأهبة للحرب وذلك ليدخل فى قلوب الأعداء الرهبة ، فتكون العزة والكرامة . قال الله فى كتابه العزيز : (وأَعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ

عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ» [الأنفال : ٦٠]

وإذا كان الإسلام دين سلام ، فقد فرض الله الجهاد على المؤمنين وأذن لهم فى القتال ، فالجهاد ليس عدوانا وإنما هو رد للعدوان ، وليس إلا دفاعاً عن العقيدة وحرية الرأى . والذين يتخلفون عن الجهاد لضرورة لا عقاب عليهم ، يقول سبحانه وتعالى : (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ، وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ واللهُ غَفُورٌ رحِيمٌ) [التوبة : ٩١] .

وفرض القرآن على المسلمين الطاعة وخاصة فى أثناء الجهاد ، قال تعالى: (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ ، وأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ) [النساء : ٥٩] .

ويجب أن يصاحب الجهاد – الإخلاص والقوة وليس الفتور ، قال تعالى : (وَجاهِدُوا فى اللهِ حَقَّ جِهادِهِ) [الحج : ٧٨] . ويضاف إلى ذلك الوحدة والنظام ، ودليل هذه القاعدة قوله الكريم : (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ) [الصف : ٤] ومن أراد المزيد من الآيات الكريمة المتصلة

بآداب الحرب ، فليرجع إلى المصادر[١] .

وخير ما يختم ، فى فضائل الجهاد ، قوله ﷺ : (إعلَمْوا أَنَّ الجنَّة تحت ظلالِ السيوفِ) (صحيح البخارى : ج ٤ – ٢٧) .

---

(١) تفصيل آيات القرآن الحكيم : جول لابوم – محمد فؤاد عبد الباقى . القاهرة (الحلبى) .

تطور فن الحرب عند العرب

بين القرين السادس والعاشر

يمكن القول إن فن الحرب عند العرب قد تطور بصفة عامة بين القرنين السادس والعاشر فى المراحل الآتية :

١ – أساليب القتال فى البادية قبل الإسلام .

٢ – أساليب القتال خلال سرايا النبى وغزواته فى فجر الإسلام .

٣ – أساليب القتال فى أثناء ولاية الخلفاء الراشدين .

٤ – أساليب القتال فى أثناء الخلافتين الأموية والعباسية حتى عام ١٠٠٠ هـ .

وسنتكلم بإيجاز عن كل من تلك المراحل .

القتال فى البادية قبل الإسلام

بيئة البادية ومزاياها :

كانت البادية – ومازالت – خير مدرسة للتدريب على فنون الحرب وممارسة القيادة فى مراحيلها . ومن البادية ومنذ مئات القرون ، خرجت الحملات العسكرية لتجاهد فى سبيل دين الله ، ولتفتح ولتنتصر . .

مئات من مشاهير القادة الذين كللوا رءوسهم بأكاليل الظفر ، تفخر بهم البادية العربية .

كانت لهزيمة الدولتين العظميين – فارس وبيزنطة – أمام العرب المسلمين أسباب كثيرة : **منها ضعف العقيدة واختلال النظام ، ونقص القيادة ، وانحلال الخلق** . ولكن البلاء الأكبر إنما لحق بهاتين الدولتين وغيرهما من آفة الغرور والاستخفاف بالخصم المقاتل ، فانتصر العرب لأنهما ظنتا أنهم لا ينتصرون ، وكان الاستخفاف والإهمال شرًّا عليهما[١] . .

ولا يزال أكثر المؤرخين الحربيين يستعظمون على العرب أن يغلبوا الفرس والروم ، وبعضهم يلتمس السبب فيقول : **إنما هو وهن الدولتين ، أو يلتمس العلة فيقول إنها عقيدة المسلمين المتحمسة وافتقار الفرس والروم إلى مثل هذه العقيدة** . . وهذا أو ذاك تعليل غير كامل . وجميع الأسباب التى ذكرناها لا تغنى عن **الخبرة الحربية ، والاستعداد الشامل للقتال** . . فالحقيقة التى يجب أن ندركها هى أن **المسلمين كانوا أيضاً أخبر بالفنون الحربية من أهل فارس والروم أو كانوا أقدر على تنفيذ الخطط الحربية** التى تنفعهم من قوات تينك الدولتين . وأن البادية العربية ، سواء فى عصور الجاهلية أو صدر الإسلام ، لم تكن تجهل الحرب بتلك الحالة التى توهمها غالبية المؤرخين الذين بحثوا أسباب

---

(١) عباس محمود العقاد : عبقرية خالد – دار إحياء الكتب العربية ص ٤ – ١٢ .

انتصارات العرب فى فتوحهم العظيمة .

وحروب البادية لم تكن أكثرها مشاجرات بالرماح والسيوف والمقاليع ، فقد اعتاد هؤلاء البدو على الحروب الكبيرة والمناوشات الصغيرة ، ويشهد على ذلك معارك العرب فى الجاهلية المعروفة بأيام العرب[1] وهى لا تكاد تحصى ، مارس فيها أبناؤها الرياضة وحروب العصابات وفنون القتال جيلا بعد جيل . وتسيير الجيوش بعشرات الألوف وتدبير الخطط واتباع مبادئ الحرب وتنفيذها بدقة . ومن العسير أن نتناول الحديث عن أيام العرب ، هذه ، فليرجع إليها من يرغب المعرفة – بيد أننا سنتحدث عن معركة واحدة وهى : معركة ذى قار ، التى تغلب فيها العرب على الدولة الفارسية قبيل الإسلام ، فإن العرب كانوا فيها أبرع قيادة وأخبر بفنون التعبئة ، من قادة الجيوش النظامية .

واقعة ذى قار (٦١٠م) .

وذو قار هو ماء لبكر بين الكوفة وواسط ، قريبة من الفرات ، وكان ملوك العراق العرب فى الحيرة والمناذرة يخضعون لنفوذ كسرى أحياناً إبان ضعفهم وفى حالات عدة يرفضون إلا أن يكونوا خلفاء الفرس . وكان لهؤلاء عملاء فى الحيرة ، منهم عدى بن زيد العبادى الذى كان يعمل

---

(١) محمد أحمد جاد المولى وعلى البجاوى ومحمد أبو الفضل : أيام العرب فى الجاهلية القاهرة ١٩٤٢ – معركة ذى قار ، ص ٦ – ٣٩ .

مترجماً وكاتباً فى بلاط كسرى . وقد وجد الملك نعمان العربى على عدى هذا ما يتهمه بالخيانة فنفذ فيه حكم الموت . ومن هنا قامت القيامة !

وكانت قوات الفرس مؤلفة من عدة فرق ، وقد أمرت بأن تحتشد فى منطقة ذى قار ، ومن المحتمل جدًّا أن يكون الجيش العربى على الأقل بنفس تعداد الجيش الفارسى أو يزيد عليه قليلاً[١] ويمكن القول بأن الجيش العربى المؤلف من قبيلة بنى شيبان كلها كان قرابة ثمانية آلاف مقاتل . وانتظم الجيش الشيبانى فى ثلاث فرق ، احتل هانى بن قبيصة القلب ، وكان على ميمنته يزيد بن مسهر الشيبانى ، وعلى ميسرته حنظلة ابن ثعلبة بن سيار العجلى . ووضعوا كميناً قويًّا يقوده يزيد السكونى .

وعندما زحف الفرس تحت قيادة إياس بن قبيصة داهمته كتيبة الكمين فأوقعته فى مباغتة حطمت معنويات الجيش الفارسى وأخلت ترتيباتهم الهجومية ، فانهزم الفرس إلى الجبابات وهم يعانون من عطش شديد . . ودارت فى الجبابات معركة شديدة انهزم فيها الفرس فتحولوا شمالا نحو بطحاء ذى قار ، فطاردهم العرب نهائيًّا ودارت عدة معارك دموية بين الجيشين ، حتى أطاحت فرقة عربية بفلول القطعات الفارسية فأبادتها تماماً ، وسجل العرب انتصاراً رائعاً على الجيش الفارسى ، وفى ذلك أشار الرسول ﷺ «هذا أول يوم انتصف العرب على العجم وبى نصروا» .

---

(١) الفريق الأول الركن صالح مهدى عماش : من ذى قار إلى القادسية ، ص ٤٩ — ٥٧ . دار العرب للطباعة ببغداد .

أساليب القتال فى فجر الإسلام

سرايا النبى وغزواته

انتهينا من حرب البادية ، وهنا نبدأ المرحلة الثانية من تطور أساليب القتال بعد نزول أكثر آيات القرآن الكريم التى وضعت أسس ومبادئ الجهاد ، وكانت مرشداً للرسول القائد والصحابة الأجلاء . وهذه المرحلة هى نظام الصفوف أو الزحف . . وقد مارسه المسلمون جيداً فى عدد كبير من السرايا والغزوات سنذكرها هنا بإيجاز .

يقدر عدد البعوث والسرايا التى أرسلها النبى (ﷺ) فى حياته سبعاً وأربعين[1] . قال ابن اسحق : كانت بعوثه (ﷺ) وسراياه ثمانية وثلاثين بعثاً وسرية[2] .

ومن المعروف أن الرسول الكريم لم يرسل بعوثه وسراياه إلا بعد أن شرع الله القتال فى سبيله من أجل إعلاء كلمته . (سورة الحج – الآية ٤٠) وأهم أهدافها مطاردة القوافل التجارية والتعرف على أحوال الأعداء ورصد تحركاتهم وكشف اتجاهاتهم وإشعار كل المناوئين للدعوة الإسلامية بأن أتباعها قادرون على إرهاب أعداء الله .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢ طبعة دار التحرير.

(٢) ابن اسحق : سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٨١ .

الغزوات :

ويبلغ عدد الغزوات التى حضرها النبى (ﷺ) بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها :

١ – غزوة ودّان وهى غزوة الأبواء أيضاً لقرب المكانين فى أوائل السنة الثانية للهجرة .

٢ – غزوة بُواط بالقرب من رضوى (دون نتيجة) فى السنة الثانية للهجرة .

٣ – غزوة العشيرة من بطن ينبع (لم يحدث اشتباك) فى السنة الثانية للهجرة .

٤ – غزوة بدر الأولى أو الصغرى (غزوة عبد الله بن جحش) .

٥ – غزوة بدر الكبرى فى رمضان العام الثانى للهجرة (يناير ٦٢٤ م) .

٦ – غزوة السويق . فى العام الثانى للهجرة .

٧ – غزوة غطفان فى العام الثانى للهجرة .

٨ – غزوة بحْران فى العام الثالث للهجرة .

٩ – غزوة أحد فى شوال فى العام الثالث للهجرة (يناير ٦٢٥ م) .

١٠ – غزوة حمراء الأسد .

١١ – غزوة بنى النضير .

١٢ – غزوة دومة الجندل فى ربيع الأول العام الخامس للهجرة (٦٢٦م) .

١٣ – غزوة الخندق فى شوال العام الخامس (٦٢٧ م) .

١٤ – غزوة قريظة تحت قيادة على بن أبى طالب .

١٥ – غزوة بنى المصطلق (٦٢٧ م) .

١٦ – غزوة الحديبية .

١٧ – غزوة خيبر لإخضاع اليهود فى الجزيرة العربية فى صفر العام السابع (٦٢٨م) .

١٨ – غزوة مؤتة فى جمادى الأولى العام الثامن (سبتمبر ٦٢٩م) .

١٩ – فتح مكة ٢١ من رمضان العام الثامن (يناير ٦٣٠ م) .

٢٠ – غزوة حنين[١] ٢١ من رمضان العام الثامن (٦٣٠ م) .

٢١ – غزوة تبوك وهى اسم لعين على مشارف الشام (سبتمبر ٦٣٠م) .

وقال ابن إسحق أن النبى (ﷺ) قاتل فى تسع غزوات منها هى : بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر وفتح مكة ، وحنين ، والطائف (سيرة ابن هشام جـ٤ ص ٢٨٠) .

وكانت تبوك آخر مرحلة فى فجر الجهاد الإسلامى ، وكانت العامل

---

(١) اسم موضع فى طريق الطائف وتسمى غزوة حنين بأسماء أخرى هى غزوة أوطاس وهو اسم موقع كانت به الموقعة ، وتسمى أيضا غزوة هوازن .

الأساسى لإعداد جيش تحت إمرة أسامة بن زيد لغزو الروم ، ولكن وفاته عليه الصلاة والسلام حالت دون تنفيذ هذه الحملة بعد أن تأهبت للمسيرة .

وفى خلال تلك السرايا والغزوات تطور القتال (خلال المرحلة الثانية) بفضل ما أنزل من آيات الجهاد فى القرآن الكريم ، وبفضل قيادة الرسول الكريم وصحبه الأجلاء . وأخذ بنظام الصفوف أو الزحف بعد أن كان مقصوراً على الكر والفر . وفى ذلك قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ يُحب الذِّينَ يُقاتِلُون فى سَبِيلِهِ صفاًّ كأَنَّهُم بُنْيانٌ مَرْصُوص) [الصف : ٤] ، واستخدم النبى الكريم فى قتاله قريشاً بنظام الصفوف فى أكثر المعارك . بل إن النبى استعرض المجاهدين يوم بدر الكبرى لما تزاحموا ودنا بعضهم من بعض ، فجعلهم صفوفاً وأخذ يعدل صفوفهم وفى يده سهم لا نصل له ، كان المقاتلون يمشون صفوفاً إلى العدو ، صفاً بعد صف حتى يبدأ القتال . وكان الجند حينذاك يرتبون فى عدة صفوف مزدحمة ، ويتقدمهم حاملو الرماح لصد هجمات الفرسان .

فلما تكاثر المسلمون فى أيام الخلفاء الراشدين ، صاروا يجعلون صفوفاً يرتبونها بحسب أسلحتها والأحوال المحيطة بها .

وسنقف وقفة قصيرة لكى نقول كلمة عن فتح مكة . فقد كانت خطة فتحها وحشد حملتها يتمان فى سرية تامة حتى يكون اقتحامها مفاجئاً وبأقل عدد من الخسائر للطرفين . وقد وضعت خطة دخول مكة

على النحو الآتى[1] :

(ا) كان الجناح الأيسر تحت قيادة الزبير بن العوام وقد دخل مكة من شمالها .

(ب) كان الجناح الأيمن تحت قيادة خالد بن الوليد وقد دخل مكة من أسفلها .

(جـ) كانت جماعة الأنصار تحت قيادة سعد بن عبادة وقد دخل مكة من جانبها الغربى .

(د) كانت جماعة المهاجرين تحت قيادة أبى عبيدة بن الجراح . وقد دخل مكة من أعلاها بحذاء جبل هند وجعل الرسول قيادته على جماعة من المهاجرين من القادة الأفذاذ . .

ولم تلق هذه الفرق عند دخولها مكة مقاومة تذكر . باستثناء فرقة خالد بن الوليد التى قاومتها جماعة أسفل مكة قادها عكرمة بن أبى جهل وصفوان وسهيل . . واحتوت على جماعة من حملة القسى . ولكن خالداً استطاع التغلب عليها وقضى على مقاومتهم ، وولى قادة الأعداء الثلاثة الآخرون الأدبار . . . فكان فتح مكة حرباً خاطفة بكل معنى الإصطلاح ، وليست حرباً ساخنة . .

ومن الجدير بالذكر أن نلم ببعض الترتيبات الحربية التى كانت متبعة فى هذه المرحلة ، أى فى عصر النبى الكريم .

---

(١) محمد فرج : العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول – دار الفكر العربى ١٩٥٨ .

استعراض المجاهدين :

كان استعراض الجند من التقاليد المعروفة قبل الإسلام ، وقد اهتم به فى أيام الرسول الكريم ، فكان النبى يستعرض بنفسه الجيش قبل سيره إلى المعركة ، استعرض جنده فى بدر ، كما استعرضه عند فتح مكة ، وأقيم عرض للجيش الإسلامى السائر إلى تبوك (٦٣٠ م) وارتقت النسوة أسقف البيوت ليشاهدن المجاهدين . . . ثم اقتدى الخلفاء الراشدون بما فعله الرسول (ﷺ) ، وفعل ذلك أيضاً خلفاء الأمويين ، وقيل إن الحجاج كان إذا عرض الجند يسأل كل جندى من هو؟ وما قبيلته ؟ ويسأل عن حاله وعن سلاحه . ثم أخذ العباسيون بنظام الفرس فى العرض .

عطاء الجند ورواتبهم :

وكان للجند المسلمين أعطيات منذ عهد النبى ولم تكن محدودة . . فكانت الغنائم تقسم على أساس أن يخصص الخمس للرسول ، وأن يوزع الباقى على الجند دون تمييز . وكان جميع الناس جنوداً . . فلم يكن هناك الجيش القائم بعد .

الجيش النبوى :

فى فجر أيام الرسول ، كان كل من يسلم من العرب ، يدخل فى صفوف الجند الإسلامى ، فعدد الجيش يومئذ كان هو تقريباً عدد المسلمين .

والمهاجرون هم أول جنود المسلمين ، تقول المراجع إن عددهم حين أسلم عمر بن الخطاب كان أربعين ، فلما جاءوا المدينة (يثرب) اتحدوا بالأنصار وصاروا جميعاً جنداً واحداً تحت قيادة الرسول الكريم . وفى السنة الأولى للهجرة لم يزيدوا على بضع عشرات يقيمون فى المدينة . ثم ازدادوا ، فكان عددهم فى معركة بدر الكبرى ٣١٣ رجلاً من المهاجرين والأنصار (السيرة الحلبية جـ ١ ص ٥٣٢ تذكر أن عدد المقاتلين كان ٣٠٥ رجال وخمسة جياد) . ولم يكن فيهم سوى فارسين أحدهما المقداد بن عمرو الكندى . وفى غزوة أحد كان الجند سبعمائة وفيهم مائة دارع . ثم ازدادوا بمن اعتنق الإسلام من القبائل العربية[1] . واشترك فى غزوة مؤتة ثلاثة آلاف مقاتل مسلم . وبلغ عددهم فى غزوة تبوك آخر الغزوات فى صدر الإسلام ثلاثين ألفاً منهم عشرة آلاف فارس . . . وقد عادت الحملة دون قتال . . . وكان معظم رجال

(١) تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٥٧ ، وفى السيرة الحلبية ج ١ ص ٥٣٣ أنه كان مع هذا الجيش سبعون جملا .

وحدات الجيش المحارب من أهل الحديبية والطائف وغيرهما من القبائل العربية .

وهكذا رأينا الجيش الإسلامى الأول يتطور من العشرات إلى الألوف وكان يشترك فيه الفرسان والمشاة معاً وأحياناً حملة القسى والرماح .

مناقشة أساليب القتال
عند ابن خلدون

يخصص العلامة الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون فصلاً مسهباً من فصول المقدمة ، وهو الباب الثالث للحروب يبحث فيه عن منشأ الحروب ويفصل مذاهب الأمم فى ترتيبها . كما يناقش فيه أسباب الغلبة والظفر فيها (ص ٢٧٠ – ٢٧٩) .

يبدأ ابن خلدون فصل الحروب ومذاهب الأمم فى ترتيبها ببيان أصل الحروب ، فيقول إنها إرادة إنتقام بعض البشر من بعض . ويتعصب لكل منها أهل عصبته فإذا تنافروا لذلك وتضادت الطائفتان . إحداهما تطلب الإنتقام والأخرى تدافع ، كانت الحرب ، وهو أمر طبيعى فى البشر ، لا تخلو منه أمة ولا جيل .

وينتقل ابن خلدون إلى ذكر أسباب الحروب ، ويرجعها إلى أربعة أسباب :

الأول : يجرى عادة بين القبائل المجاورة والعشائر المتناحرة .

الثانى : العدوان الذى توجهه الأمم الوحشية الساكنة بالقفار ، كالعرب والترك والأكراد وأشباههم ضد من يجاورهم بقصد القتل والنهب .

الثالث : هو الذى يعرف فى الشريعة الإسلامية بالجهاد .

الرابع : حروب الدول ضد الخارجين عليها والذين لا يطيعونها .

ويعتبر ابن خلدون النوعين الأخيرين حروب جهاد وعدل[١] .

ويهمنا هنا ما يتناوله ابن خلدون بعد ذلك عن كيفية تنفيذ الحروب ، فنجده يقسم الأساليب إلى نوعين أساسيين ، فيذكر :

وصفه الحروب الواقعة بين أهل الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين :

(ا) نوع بالزحف صفوفاً .

(ب) نوع بالكر والفر .

أما النوع الذى بالزحف ، فهو قتال العجم كلهم على تعاقب الأجيال ، وأما الذى بالكر والفر ، فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب . ثم يوازن ابن خلدون بين هذين النوعين من الأساليب ، ويبين رَجحان قتال الزحف صفوفاً على قتال الكر والفر ، ويشرح أسباب هذا قائلاً :

– قتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والفر ، ذلك لأن قتال الزحف ترتد فيه الصفوف وتسوى ، كما تسوى صفوف الصلاة ، ويسيرون بصفوفهم إلى العدو قدماً ، فلذلك تكون أثبت عند القتال

(١) دراسات عن مقدمة ابن خلدون – الجزء الثانى ص ٥١ – ٧٨ عام ١٩٤٤ - لابن خلدون – ساطع الحصرى .

وأرهب للعدو .

وبعد ذلك ، يؤيد حكمه بما ورد فى القرآن الكريم قائلاً :

- (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص) أى يشد بعضهم بعضاً بالثبات .

- وبعد ذلك يوضح ابن خلدون كيفية تنفيذ قتال الكر والفر . فيقول :

وأما قتال الكر والفر ، فليس فيه من الشدة والأمن من الهزيمة ، ما فى قتال الزحف ، إلا أنهم قد يتخذون خلفهم فى القتال مصاف ثابتاً ، يلجئون إليه فى الكر والفر ، ويقوم لهم مقام الزحف .

● ثم يوضح علامتنا كيفية ترتيب الجنود فى الحروب (وعرفت بالتعبئة فيما بعد[1]) ويبين أسباب هذا الترتيب وأهدافه :

إن الدول القديمة (كاليونان والرومان) الكثيرة الجنود المتسعة . الممالك ، كانوا يقسمون الجنود أقساماً يسمونها كراديس . ويسوون فى كل كردوس صفوفه ، وسبب ذلك ، أنه لما كثرت جنودهم استدعى ذلك أن يجهل بعضهم بعضاً إذا اختلطوا خلال القتال واعتوروا مع عدوهم

(١) التعبئة هى صف الجند فى مواقفهم بين الميمنة والميسرة وغيرهما من أجزاء الجيش ، فيكون مستعدًّا للاشتراك فوراً فى أى قتال إذا ألجأته الضرورة إليه ، وأسبق المؤلفين العرب إلى ذكر المصطلح على علمنا ، أبو سعيد الشعرانى الهرثمى مؤلف مختصر سياسة الحروب - الباب العاشر وعنوانه « فى الأمر بتعجيل الأهبة والتعبئة » ، ص ٢٥ - تحقيق عبد الرؤوف عون - القاهرة .

الطعن والضرب ، فيخشى من تدافعهم فيما بينهم وجهل بعضهم بعضاً ، فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعاً ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض ، ويرتبونها قريباً من الترتيب الطبيعي ، ورئيس العساكر جميعاً – من سلطان أو قائد – في القلب – ويسمون هذا الترتيب التعبئة ، وقد ذكرت التعبئة في أخبار فارس والروم وصدر الإسلام. ويجعلون بين يدي الملك عسكراً منفرداً بصفوفه متميزاً بقائده ورايته وشعاره ، يسمونه المقدمة ، ثم عسكراً آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمته ، ويسمونه الميمنة ، وعسكراً آخر من ناحية اليسار ، يسمونه بالميسرة ، ثم عسكراً آخر من خلف العسكر ، يسمونه الساقة ، ويقف الملك وأعوانه في القلب بين هذه الأربعة ويسمون موقفه القلب ، فإذا تم هذا الترتيب المحكم ، إما في مدى واحد للبصر أو على مسافة بعيدة ، فحينئذ يكون الزحف من بعد هذه التعبئة.

● ثم يذكر ابن خلدون بعد ذلك أن هذا الترتيب أهمل بعد ذلك لأسباب أهمها ضعف الإشراف على الحفاظ على تماسك الترتيب.

– وبعد الإنتهاء من بحث التعبئة ، ينتقل ابن خلدون إلى طريقة ضرب المصاف وراء العسكر. وهذا الأسلوب يلجأ إليه في كلا النوعين من الحروب ، أي في حرب الزحف بالصفوف ، وحرب الكر والفر ، ويقصد تقوية النفوس ، وشد العزائم وزيادة الثقة خلال القتال . . . ويتألف هذا المصاف عند أهل الكر والفر من الشعوب البدوية من إبلهم

والظهر الذى يحمل طعامهم ، ويتألف عند أهل الزحف بالصف من الفيلة أو من سرير الملك . ثم وضح ابن خلدون كل نوع على حدة ، وذكر بهذه المناسبة ما حدث فى معركة القادسية حينما لجأ الفرس إلى اتخاذ الفيلة ونصب السرير فى آن واحد . . وانتهى الأمر بهزيمة الفرس .

ويوضح ابن خلدون استخدام العرب فى فجر الإسلام أسلوب الزحف صفاً فيقول :

«كانت الحرب أول الإسلام كلها زحفاً . وكان العرب إنما يعرفون الكر والفر ، وحملهم على ذلك (أى على اختيار أسلوب الحرب زحفاً) أمران : أحدهما أن أعداءهم كانوا يقاتلون زحفاً ، فيضطرون إلى مقاتلتهم بمثل قتالهم . وثانيهما أنهم كانوا مستميتين فى جهادهم ، لما رغبوا فيه من الصبر ، ولما رسخ فيهم من الإيمان .

ثم نعلم من ابن خلدون أن أسلوب الصف فى الحروب أهمل فيما بعد حينما أبطله مروان بن محمد بن الحكم فى قتال الضحاك الخارجى والجبيرى بعده . (نقلاً عن المؤرخ الطبرى) وهنا ينتهى كلام ابن خلدون .

أسلوب القتال بالكراديس

وهنا يوضح لنا مؤرخ غربى الأخذ بنظام الكراديس وهو « يوليوس فلهوزن »[1] ، بعد ما تثبت مما جاء فى الطبرى (جـ ٢ ص ٩٤٠) .

فى سنة ١١٥ هـ/٧٣٣ م ارتفع نجم مروان بن محمد الخليفة الأموى ، وكان إذ ذاك بين الخمسين والستين من العمر ، وأسندت إليه على الأقل أرمينية وأذربيجان ، وكان هذا المنصب يتطلب جندياً ، وقد كان مروان عند حسن الظن به ، فقد تمكن من أن يدافع عن ثغر القوقاز أمام هجمات الترك دفاعاً لا يلين ، وأن يقوم بغزوات موفّقة فى أرض الترك . وكان هذا المنصب الذى لبث فيه اثنى عشر عاماً بمثابة مدرسة حربية له . وكان نظام الجيوش فى ذلك العصر قد أخذ يتغير شيئاً فشيئاً ، وأخذت الجيوش تنظم تنظيماً فنياً ، ذلك أن أسلوب القتال القديم (الصف) أخذ يبدو نظاماً غير صالح للغزوات الطويلة الشاقة البعيدة ، كما أخذ يتجلى أن هؤلاء المقاتلين لا يصلحون لتحقيق أهداف بعيدة ، فأبعدوا من مكانهم ، وحل محلهم جند الدولة من أهل الشام ، وكانت الأعطيات المستمرة التى تعطى لكل عربى قادر على القتال قليلة الجدوى

---

(١) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ترجمة د . محمد عبد الهادى أبو ريدة – ص ٣٥٧ – ٣٥٨ .

فى الأغراض العسكرية .

بدأت تحل محل القبائل المقاتلة التى كانت تؤلف فرق الجيش ، فى النظام القديم فرق بالمعنى الحقيقى لتكون صلب الجيش ، وحل القادة المحترفون محل رؤساء القبائل . وكانت كل فرقة تحمل أحياناً اسم قائدها كالوضاحية والذكوانية نسبة إلى عمرو بن الوضاح ومسلم به ذكران . وقد سار مع هذا التنظيم جنباً إلى جنب تقدم فى الخطط العسكرية . بعد أن كان الجند يحاربون صفوفاً طويلة ، فكانت تقع المبارزات الفردية بين أفراد الصفين المتقاتلين . وكانت نتيجة تلك المبارزات فى كثير من الأحيان هى التى تقرر مصير المعركة . إما بالتقدم من الجانبين وإما بالفرار .

أما فى أيام الخليفة مروان فقد أخذ الأسلوب القديم وهونظام الصفوف ينحل . بعد أن تجلى ما فيه من الضعف ، وحل محله أسلوب الكراديس ، أعنى الوحدات الصغيرة التى كانت أكثر تماسكاً فيما بينهما ، وكانت أسرع حركة وانتقالا . ومن المحتمل أن يكون نظام الكراديس قد عرف قبل أيام مروان ولكن من المؤكد أنه هو الذى نفذه (الطبرى جـ ٢ ص ١٩٤١ و ١٩٤٤) .

ويرى بعض مؤرخى الحرب أن القائد خالد بن الوليد رتب المسلمين فى معركة اليرموك عام ١٣ هـ فى ثمانية وثلاثين كردوساً (بين ٣٦ و ٤٠ كردوساً) وهى كورتيس فى اليونانية Koortis ومعناها الكتلة

أو الكتيبة ، وكانت تعبئة لم ترتب العرب مثلها قبلاً ، بيد أن اصطلاح «كردوس» الذى ذكره الراوى سيف بن عمر عن اليرموك استخدم مرة واحدة كقطعة من قطع الخيالة فى اليرموك ، فيذكر . . . وجعل القلب تحت قيادة أبى عبيدة ، وكراديس الميمنة أقام عليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ، وجعل كراديس الميسرة تحت قيادة يزيد بن أبى سفيان ، وكذلك فعل القائد سعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية سنة ١٤ هـ (يراجع أيضاً الطبرى ، جـ ١ ص ٢٠٩٣) . وهذه الكراديس تختلف عن التعبئة بالكراديس المشاة التى هى نوع من الزحف بالصفوف على ما نعلم .

الاستعانة بحفر الخنادق

نعود مرة ثانية إلى مقدمة ابن خلدون وكلامه إلى أساليب (طرائق) الحرب عامة ، حينما ينتقل إلى الكلام عن فوائد الخنادق وغاياتها :

كان من مذاهب الأول فى حروبهم حفر الخنادق حول معسكرهم عندما يتقاربون للزحف حذراً من البيات (القتال الليلى) والهجوم على العسكر بالليل لما فى الظلمة ووحشيتها من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالفرار ، فكانوا لذلك يحفرون الخنادق حول معسكرهم ويديرونها نطاقاً عليهم من جميع جهاتهم حرصاً من أن يخالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا .

وبهذه المناسبة يشير ابن خلدون إلى ما جاء فى وصية الخليفة على رضى الله عنه وتحريضه لأصحابه يوم معركة صفين . ففيها كثير من علم الحرب ، قال : «سووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام ، والتووا على أطراف الرماح ، فإنه أصون للأسنة وأخفتوا الاصوات فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار وأقيموا راياتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم» .

عدة القتال عند العرب

الخيل والجمال (الإبل) :

أهم ما يقابلنا منها ، الخيل والجمال ، فتلك أهم عناصر القتال التى اعتمد عليها عرب البادية منذ الحروب الجاهلية . امتطو الخيل فى القتال واستخدموا الجمال فى أعمال حمل العتاد فى الانتقال البطىء نوعاً ، فالخيل كانت مطية العرب المفضلة فى حملهم وترحالهم وأثناء السلم والحرب . وقد ورد ذكر الخيل فى سور شتى من القرآن الكريم ، فمن قوله تعالى : (وأعِدُّوا لهُمْ ما استطَعْتُم مِنَ قُوَةٍ ومنْ رِبَاطِ الخيْلِ ، تُرْهِبُونَ بِهِ عدُوَّ الله وعدوَّكُم . . .) [الأنفال : ٦٠] ، وجاء ذكرها فى سورة العاديات (أى الخيل التى تعدو) ، فقال عز وجل : (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ، فِالْمُورِياتِ قدْحاً ، فَالمُغيرَاتِ صُبحاً ، فأثَرْنَ بِهِ نقعاً ، فوسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) [العاديات من ١ – ٥] كما وردت (وَالْخَيْلَ والْبِغَالَ والْحَمِيرَ لِتَركَبُوهَا وزِينَةً ويخْلُقُ مالا تَعْلَمُون) [النحل : ٦] . صدق الله العظيم .

والمعروف أن خيل العرب أجود خيول العالم ، وكانت أهم ما يعتمد عليه الفارس العربى ، فأولاها عناية ورعاية ، وكانوا لا يستعملونها إلا فى الرياضة والقتال ، فإذا شاءوا الحرب ركبوا الإبل وقادوا الخيل

لإراحتها . . وقد ذكر ابن القيم الجوزية : الفروسية أربعة أنواع : أحدها ركوب الخيل والكر والفر بها ، والثانى الرمى بالقوس . والثالث المطاعنة بالرماح ، والرابع المداورة بالسيوف ، فمن استكملها استكمل الفروسية .

ولما كانت أعداد الخيل المتوافرة عند المسلمين قليلة أثناء غزوات الرسول الأولى فقد استخدمت على نطاق ضيق ، ثم زاد عددها بعد فتح مكة ، ويعود ذلك إلى وفرتها عند تجار مكة الأثرياء .

أما الجمال سفن الصحراء وحملة الأثقال فلا غنى عنها لأهالى البادية ، يستخدمونها فى الركوب وفى حمل المتاع وفى الأعمال الزراعية . فضلا عن استعمالها أحيانا لحملة الرماح كما حدث فى معركة القادسية (الطبرى جـ ١ ص ١٦٦٠ و٢٣٠٩) . والمراجع العربية الوفيرة التى يشار فيها عرضاً إلى الإبل تؤكد أن القوات العربية فى شبه الجزيرة وفى الشام والعراق وبلاد الرافدين استخدمت الجمل وسيلة للنقل ، وعلى العكس ، فإن الجيش الذى قاده عمرو بن العاص ليفتح به مصر كان من الخيالة (الطبرى جـ ١ ص ٢٥٩٢) كما يؤكد ذلك يوحنا النقيوس ، كما استخدمت الجمال على نطاق كبير فى حملات شمال أفريقية لا سيما فى أعمال النقل .

أسلحة العرب :

اعتاد مؤرخو السلاح أن يصنفوا أسلحة العرب أثناء فتوحهم الكبرى كما يلي :

(أ) أسلحة هجومية .

(ب) أسلحة دفاعية (للوقاية) .

(جـ) آلات الحصار .

(د) النار اليونانية والنفط .

الأسلحة الهجومية

١ – الرمح والحربة :

يعتبران من أهم أسلحة العرب مشاة وفرساناً ، وقد أجادوا استخدامها على ظهور الجياد والإبل ، وكان أجود الرماح – اليزنية – نسبة إلى ذى يزن ، والرماح الردينية نسبة إلى ردينة وهى امرأة كانت تصنع الرماح . والرمح أنواع شتى منها القصيرة وهى المرفوعات ، والطويلة وهى الطوال ، وقيل لحامل الرمح رماحاً . واستخدام الرماح بكفاءة يتطلب تدريباً على العمل بها ، كالتدريب على الحربة . والحربة هى الرمح القصير ، وهى أنواع شتى ، وقد كتب عنها العرب القدامى رسائل كثيرة فى كيفية استعمالها .

٢ - الخنجر :

يعرف بالصلت وهو السكين الكبيرة أو المدية . استعمل فى معظم البلاد العربية والإسلامية وانتقل إلى البلقان .

٣ - القوس والسهم :

يعتبر القوس من أقدم أسلحة القتال . استخدم فى الصيد أولا فى الشرق قبل الغرب ، وكان منه نوعان على الأقل عند العرب . قوس يد وقوس قدم . وكانت تصنع من خشب النبع والضال والسدر والشريان . وللقوس ولأجزائها أسماء كثيرة منها : البدن والوتر . وكان يصنع من خيوط مفتولة أو شراك جلد . والسهم من آلات الرمى بالقوس وله أنواع كثيرة منها المريخ وهو سهم طويل وله أربع آذان . والمعبلة وهو السهم الخفيف . والرهب وهو السهم العظيم . والخطوة وهو سهم طوله ذراع . وينقسم السهم إلى النصل وهو الحديدة الجارحة فى رأس السهم . والعود ما بين النصل والعقد . والعقب وهو القسم الذى يوضح فيه الريش ، والعقب موضع الوتر من السهم ، والسهم المصنوع من النبع اسمه النبل ويطلق عليه الفرس والترك : النشاب وواحدته نشابة . والكنانة . أو الجعبة هى محفظة النبال .

وقد ألف علماء كثيرون فى علم الرمى بالقوس رسائل طريفة أوضحوا

فيها أساليب الرمى وطرق الإمساك بها وإصابة الهدف ، والجدير بالذكر أن الإصابة بالسهم على سبع درجات من حيث شدتها وقوتها (بلوغ الأرب جـ ٣ : ص ٣٥٤) .

٤ – **السيف :**

السيف أمير الأسلحة البيضاء وأنبلها ، عرفته الأمم القديمة والعرب منذ جاهليتهم ، وهو سلاح الفارس والراجل . وأشهر السيوف العربية هى اليمانية والهندية والخرسانية والشامية ولكل منها علامات تتميز بها ، وكان العرب إذا أصابت سيفاً قاطعاً تناقلوا خبره وأطروه ، كسيف ذى الفقار لعلى بن أبى طالب توارثه آله ، ثم المهدى العباسى فالهادى فالرشيد ، وقيل إن النبى كان قد غنمه فى موقعة بدر ، بعد أن كان ملكاً لعربى من المشركين . ولأجزاء السيف أسماء معينة ، فالذبابة هى طرف السيف الذى يضرب به والظبة هى الحد والطرف الذى يضرب به ، والغرار هو حد السيف ، والجوهر هو الفرند أو الوشى الذى يبدو على النصل ، والغمد هو جراب السيف .

وكان لرسول الله ﷺ عدة أسياف ، لكل سيف منها اسم يخصه ، منها ذو الفقار الذى ذكرناه ، ومنها البتّار ، والمخزم ، والرسوب ، والحتف ومنها العضب وكان قد أعطاه له سعد بن عبادة ، وكان للنبى الكريم سيف قلعى (نسبة إلى قلعة) أصابه من سلاح بنى قينقاع ، كما أنه

ورث سيفاً عن أبيه ، وقد اشتهرت سيوف كثيرة من القادة الصحابة رضى الله عنهم .

وأقدم من كتب عن السيوف وأجناسها ، الفيلسوف العربى الكندى (بعد عام ٨٧٠ بقليل) وقد قسم السيوف الفولاذية إلى سيوف عتيقة ، وسيوف غير عتيقة ، وسيوف مولدة وسيوف سرنديبية وهى النوع الرابع ، أما النوع الخامس ، فهى السيوف المركبة . وقد قسم هذه الأنواع إلى أصناف شتى .

وأقدم السيوف العربية التى وصلت إلينا ، سيف مستقيم النصل نقش على نصله أسماء معاوية الخليفة الأموى ، وعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد ، وقد نقش على وجهه الآخر «عز لموالانا السلطان» الملك الأشرف أبو العصر قايتباى» وهذا السيف النبيل محفوظ اليوم فى متحف طوب قابو سراى باستانبول .

٥ – المقلاع والمنجانيق :

أبسط أنواع آلات القذف ، ويمكن إلحاقها بالقوس ويستعان فيها بقوة الطرد المركزية ، وذلك بجعل القذف فى طرفها بين حبلين يجمعان فى يد القاذف من الطرف الثانى فيديرها ثم يخلى أحد الطرفين فينبعث المقذوف بعيداً ، ويسمى المقلاع محذفة وهناك المجانيق أيضا وتستخدم لدك الحصون والبيوت .

الأسلحة الدفاعية

الخوذة (البيضة) والمغفر :

أهم آلات الدفاع المعدنية ، تلبس لوقاية الرأس ، والمغفر يغطى الوجه كله فلا يظهر منه سوى العينين ويدلى بعضه وراء الظهر مشدوداً بالخوذة ويسمى رفوف الدرع وقد يمتد على الذراعين .

الترس :

أهم أسلحة الدفاع منذ القدم وهو صفحة من الفولاذ مستديرة أحياناً وتحمل فى اليد ويتلقى بها المقاتل ضربة السيف ونحوه . وكان للترس عند العرب أسماء شتى ، منها الحجفة والدرقة والمجن وكان يصنع من الخشب المغطى بالجلد ومن أشكال الترس : المسطح ، والمستطيل المحفر الوسط والمقبب ولكل منها فائدة ! ولكل بلد تراس تتميز بشكل خاص ، فهناك الترس الدمشقى والعراقى والغرناطى والفارسى .

الطارقة :

تشبه العباءة واستخدمها المقاتل للوقاية ، ذكرها النويرى ، يقول : «وأمر السلطان بالطوارق والجفاتى فصفت وجعل الرماة وراءها .

الدرع :

أصلا هو ثوب ينسج من زرد الحديد أو السرد ، ويلبس فى الحرب كالقميص . والزرد هو الدرع المزردة سميت به للينها فتتداخل حلقاتها بعضها فى بعض . والسرد اسم جامع للدروع وسائر الحلقات ، وتثبت طرفا كل حلقة بالمسمار ، ويلبس الدرع على الجسم وله أكمام قصيرة تصل إلى منتصف الذراع . ويلبس الدرع على ثوب من النسيج المبطن فيشبه الوسادة .

وتؤلف الدرع المركبة (الكاملة) من الجوشن وهو الجزء الذى يق الصدر ، والبيضة أو الخوذة ، والمغفر ، ثم أجزاء لوقاية الساعدين والساقين والكفين ولكل منها اسم خاص .

وكلمة لأمة هى الدرع والصفائح المعدنية التى يرتديها المقاتل وتجمع على لؤم ويقال فلان استلأم أى لبس اللأمة .

الضبر :

جنة من الخشب يدخل تحتها المشاة ويمشون بها فى الجبهة حتى يقتربوا من جدران الحصون ، وقد استخدمها العرب وغيرهم حتى نهاية العصور الوسطى .

الرايات والأعلام واللواء :

اللواء علامة لمكان الأمير ، والراية ترفع لصاحب الحرب ، وفى قتال خيبر وزع الرسول الكريم الرايات ، فكانت رايته سوداء تسمى العقاب (النسر) من رداء للسيدة عائشة رضى الله عنها ، ولما رحل الرسول من ثنية الوداع فى غزوة تبوك عام ٩ هـ ، عقد الألوية والرايات ، فدفع لواءه إلى أبى بكر الصديق ، ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام ، كما عقد فى يوم حنين ويوم فتح مكة لعمه العباس راية سوداء (صبح الأعشى جـ ٣ : ٢٧٠) .

النار اليونانية والنفط :

أخذها العرب عن الروم والبيزنطيين وبقيت مواد تركيبها مجهولة مدة طويلة حتى اطلع عليها العرب ، وهى مزيج من الكبريت وبعض الصموغ والدهون يطلقونها من أسطوانة نحاسية ويقذفون منها السائل مشتعلاً أو يطلقونه على هيئة كرات مشتعلة واستخدموها فى معارك شتى .

واستخدم النفط قبل النار الإغريقية ، وكان رامى النفط يسمى نفّاطاً وكان يلبس ثوباً خاصًا اسمه لباس النفاطين لكيلا يصاب بأذى ، والنفاطة هى الآلة التى تقذف النفط .

آلات الحصـــــار

● وهى أنواع كثيرة نذكر منها :

برج الحصار المصنوع من الخشب المتين المغطى بالحديد والجلد ، وكان الغرض منه الاقتراب من حصون العدو والأسوار لاقتحامها ولقذف السهام أو الأحجار وغيرها من القذائف .

● والدبابة ويدخل فيها المقاتلون ، فيدنون إلى الأسوار لينقبوها وهى تشبه البرج المتحرك وله أحياناً أربعة طوابق . وكانت الدبابات تسبق المشاة حتى تقترب إلى مسافات قصيرة من مواقع العدو أو حصونه ، وهناك تؤثر تأثيرها المطلوب .

● والعرّادة وهى آلة أصغر من المنجنيق ، تلقى بها الأحجار وعلى مسافات طويلة .

● والمنجنيق يشبه مدفع اليوم ، استخدم فى حصار الطائف فى زمن النبى ﷺ وهو أنواع : (ا) لرمى السهام . (ب) لرمى الحجارة لهدم الجدران . (جـ) لرمى قدور النفط أو الكرات المشتعلة من النار اليونانية . (د) لرمى العقارب والرمم المعفنة ويعتبر العصر الذهبى لاستخدام المجانيق – القرون ١٢ و ١٣ و ١٤ وذلك قبل استخدام البارود .

أساليب الحرب فى أثناء حكم الخلفاء الراشدين

(٦٣٢ - ٦٦١ م)

الدولة العربية الأولى :

استمر أسلوب قتال الزحف بالصفوف كما كان عليه الحال من قبل - ولكن اتسع نطاق الحروب بشكل لم يعرف فى البادية من قبل . . . وحمل عبء الجهاد العظيم الخليفة الأول أبو بكر الصديق وقادته الأخيار للقضاء على المرتدين فى معظم أنحاء الجزيرة العربية ، فقد أرسل أبو بكر إحدى عشرة حملة نظمها بمهارة فائقة . ثم انبثق عصر الفتوح الكبرى ، بعد ما انتهت المرحلة الأولى من تاريخ الدعوة بتأمين الإسلام فى داره على أيام الرسول ﷺ ، وكانت المرحلة الثانية تأمين الإسلام فى حدوده ووطنه ودفع الخطر من هجوم الاعداء عليه ، وهيهات أن يخترقوا البادية . وبانتهاء حروب الردة بدأت فى تاريخ الإسلام مرحلة أعظم . . فأخذ أبو بكر فى تسيير البعوث إلى حدود العراق والشام دون نية الفتح الحربى . . .

ثم جاء دور الجيوش الكبيرة المعدة لمقاومة أى عدوان تقدم عليه إحدى الدولتين العظميين أو كلتاهما . . فكان لابد من تطوير التعبئة ،

وأساليب القتال ، بما يناسب ما كان متبعاً عند الدولتين . وما يكون صالحا لإجراء المناورة وما يكفل الثبات ، وما فيه أكثر وقاية فى أثناء السير ، وأمنع للمفاجأة والاحتراس من مباغة العدو من كمائنه أو عملياته الليلية .

نظام الخميس أو الخماس :

ثم أخذ الخلفاء بنظام الخماس ، وذلك بترتيب القوات فى الجهات الأربع ، ميمنة وميسرة ، ومقدمة ، وساقة (مؤخرة) ، ثم جعل القلب فى الوسط . ولما ابتكرت القيادة العربية هذه التعبئة ، سمى الجيش الذى يقاتل بهذا الأسلوب «الخميس» وجعلوه خمسة أقسام .

(أ) الميمنة والميسرة : فى الجناحين وتكون الميمنة عن يمين القلب ، والميسرة عن يساره .

(ب) المقدمة والساقة : فى الأمام والوراء . تكون المقدمة فى طليعة القلب من الجيش والساقة وراءه .

(جـ) القلب وهو القسم الخامس ويجعلونه فى مركز الأقسام الأربعة ، ويكون مقر القائد العام وحاشيته ، مثلما يكون لكل قسم آخر آمر وحاشية وراية وشعار خاص وتكون الأثقال على جنب .

ولقد ظل هذا النظام مرعيًّا ومعمولا به قروناً عدة ، فقد أخذ به الأمويون . وأخذ به العباسيون مع بعض التعديلات . ومع ذلك فهناك

من قائل بأن تعبئة الكراديس بدأت فى معركة اليرموك ، وكان للعرب فيها أربعون ألفاً من المشاة والفرسان تحت قيادة خالد بن الوليد ، فعدل فى تعبئة هذا العدد الضخم وقسم جنده إلى ٣٨ كردوسا فى كل كردوس أكثر من ألف جندى ، ثم رتبهم فى ثلاث فرق ، وجعل القلب مؤلفاً من ١٨ كردوساً أمّر عليها أبا عبيدة والجناحين من عشرة كراديس ، وكان الجناح الأيمن تحت قيادة عمرو بن العاص والأيسر ليزيد بن أبى سفيان ، فى حين احتفظ خالد بالقيادة العليا[١] .

شن البيزنطيون هجوماً كاد يكون ساحقاً ، فأمر خالد الجناحين – الأيمن والأيسر – بالتصدى للهجوم . وحينما كان الجناحان يشغلان العدو أمر خالد القلب بالتقدم فشطر خيالة العدو عن مشاته ، وبذلك فرت خيالة العدو بعد عزلها ، بيد أن خالد حال بين المسلمين وبين مطاردتها (ربما كان ذلك أفضل) وهاجمت جميع قوى المسلمين الأعداء وكان ذلك سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤م .

ولنقرأ بعد ذلك ما فعله الخليفة على بن أبى طالب (رضى الله عنه) فى معركة صفين سنة ٣٧هـ/ ١٥ من يوليو ٦٥٧ م أى بعد معركة اليرموك بأربع وعشرين سنة فقد اتبع الخليفة أسلوب الزحف بالصفوف على نحو ما فعله النبى . . . واضعاً مشاة المقاتلين فى صفوف ووضع حملة الدروع فى الصفوف الأمامية ، ثم أمر جنده بالانتظار حتى يقترب العدو

---

(١) س . حسينى : الإدارة العربية (من مجموعة الألف كتاب) ص ١٢٦ / ١٢٧ .

منهم وتصير رماحهم فى صدور العدو ، وأشار على رجاله بأن ينحنوا على رماحهم إلى الأمام فى أثناء الهجوم ليجعل تأثيرها أشد ، ونظم الخيالة فى كراديس وكانوا مسلحين بالقسى والسيوف . وعند الالتحام وضعوا قسيهم جانباً واستخدموا السيوف ، وكان جيش معاوية قرابة خمسين ألفا من الجنود يكاد يقترب عدداً من جيش على . . ثم اصطدم الجيشان وكادت أن تكون مذبحة دموية لمدة يومين دون الوصول إلى نتيجة حاسمة . وفى اليوم الثالث بدا النصر يحالف علياً ، وسرعان ما لجأ معاوية إلى استخدام الحيلة بأن أمر رجاله بأن يثبتوا القرآن فى أعلى رماحهم صائحين « لندع الله يقول كلمته » . . . وسرعان ما كان لهذه العبارة أثرها السحرى بين صفوف المجاهدين العلويين فأحجموا عن القتال . واضطر الخليفة على إلى موافقته على اتفاقية الهدنة ، واختيار بعض المحكمين لفض النزاع . وبعد ستة أشهر تقرر التحكيم لكن دون الوصول إلى نتيجة . . ومنذ ذلك الحين حدث الانشقاق العظيم بين المعسكرين ، فاستقل معاوية بالشام واحتل مصر (٦٥٨ م) فى حين حكم الخليفة على العراق وفارس ، وكانت قاعدته الكوفة . . وما تبقى يعرفه القارىء .

ويبدو أنه فى أيام حكم الخلفاء الراشدين استخدمت تعبئتان فى القتال ، هما : نظام الصف الزاحف وتعبئة الكردوس ، ويستدل على ذلك مما ورد فى مطلع خطبة الخليفة على لجنده لحضهم على القتال ، قال : إن الله قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، فأخبركم أنه

يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص «فسوّوا صفوفكم وقدموا الدارع وأخروا الحاسر». والخطبة طويلة وهى تنطوى على خلاصة نظم الحرب والقتال فى أيام الخلفاء الراشدين.

الديوان والعطاء :

وفى أيام الخليفة عمر بن الخطاب التحق معظم العرب فى الجيش الإسلامى، وانضم إليهم غير العرب ممن اعتنقوا الإسلام فقد أصبحوا ملزمين بالحرب فى سبيل العقيدة، وكان من الطبيعى الإنفاق على جميع الأفراد.

كان ينفق على الجند فى أيام النبى من دخل المسلمين جميعاً وكسبهم ومن موارد الدولة القليلة. وفى أيام أبى بكر قسم دخل الدولة الجند. وظل هذا متبعاً حتى ازداد عدد الجيوش والمعسكرات العربية فى البلدان المفتوحة، وأصبح مستحيلاً منح جميع المقاتلين مرتباتهم دون أى سجل. من أجل ذلك أنشأ الخليفة عمر «الديوان» لتنظيم استلام الدخل وتوزيعه. وكانت المهمة الأولى للموارد هى الإنفاق على الإدارة المدنية والمالية، والثانية هى الإنفاق على المطالب الحربية، أما الفائض فيستخدم غالباً لصالح الجماعة. واحتفظ بسجلات لجميع العرب وغير العرب رجالا ونساء وأطفالاً ممن يستحقون العطاء.

وتختلف الروايات الخاصة بعطاءات نساء النبى، حيث قرر لكل

منهن ١٢ ألف درهم سنويًا ، ونال كل فرد ممن شهدوا بدراً خمسة آلاف سنويًا ، وأخذ كل فرد من أبناء مقاتلى بدر ٢٠٠٠ درهم ، وكل من أسلم قبل الهجرة إلى الحبشة ٤٠٠٠ درهم وكل من أسلم قبل فتح مكة ٣٠٠٠ ، وكل من أسلم بعد فتحها ٢٠٠٠ درهم . . . واقتصر بعد ذلك على مخصصات الجند ، فقد خصص لكل جندى عربى ومواليهم من ثلثمائه إلى أربعمائة درهم ، وحددت مائة درهم لكل طفل . وفيما بعد صار كل مسلم أهلا للعطاء منذ ميلاده ثم يزداد العطاء تبعاً لنمو الطفل . . . ثم خفض راتب المجنَّد بعد ذلك فأصبح مائتين درهم سنويًا ثم زاد ثانية إلى ثلثمائة كما كان ، ونال الضباط رواتب من سبعة آلاف إلى عشرة آلاف فى السنة ، وإلى جانب تلك المرتبات كانت تأخذ زوجة كل جندى وطفله عطاء من الدولة . وفى الوقت نفسه كان الجندى يتناول جرايته كما منح الملبس والنعال وشيئاً من متاع البيت . وفضلا عن ذلك وزعت بين الجند أربعة أخماس الغنائم (الطبرى جـ ١ ص ٢٢٠٤ و ٢٢٠٥) . وكان لا يسمح للجندى أن يغيب عن داره أكثر من أربعة أشهر .

والجدير بالذكر أن العطاء كان يتفاوت بحسب أسبقية اعتناق المقاتل للدين الحنيف ، وأول من سوّى بين الجنود فى العطاء الخليفة على بن أبى طالب .

وصايا الخلفاء لقادة الجيوش :

ولدينا مجموعة طيبة من وصايا الخلفاء إلى أمراء جيوشهم ، نستدل منها بعد فحصها وتحليلها على ما احتوته من التعليمات الحربية والتوجيهات القتالية وأوامر العمليات بلغة المعاصرين .

ففي وصية الخليفة عمر إلى سعد بن أبي وقاص قائد قواته في العراق يقول له فيها : « لا تهولنك كثرة عددهم وعُدَدِهم ، فإنهم قوم خدعة مكرة » . ثم يقول له : إذا جاءك كتابي هذا ، فعشر الناس (أى اجعلهم عشرات) ، وعرف عليهم (أى اجعل عريفاً على كل عشرة) « وهى الجماعة الآن » ، وآمر عليهم ، (أى اجعل على كل جماعة قائدا) ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم بالقادسية واضمم إليك المغيرة بن شعبة فى خيله ، واكتب إلى بالذى يستقر عليه أمرهم .

وفى جزء آخر من الرسالة لا ينسى الخليفة أن يذكر القائد العام سعداً بالجند قائلاً : « اسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه العون على عدوكم . اسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم . وترفق بالمسلمين فى سيرهم ولا تجشمهم سيراً يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم ، والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامى الأنفس والكراع » .

والمجال لا يسمح بذكر أكثر من هذه المقتطفات ، فتلك الرسائل

الخليفية لقادة جيوش الفتوح تحتاج إلى كتب عدة . ويمكن القارئ الكريم أن يطلع عليها فى مراجع التاريخ الإسلامى .

الجيش فى أيام الخلفاء الراشدين :

وفى هذه المرحلة تزايد عدد الجيش ممن انضم إليه من قبائل الحجاز واليمن ونجْد واليمامة . . وتطوّرت أهداف القتال ، وأصبح من اللازم أن تقوم بها الحملات كما صارت قيادة (إمارة) الجيوش بأهم واجبات الخليفة أسوة بما كان يفعله النبى ، وكانت العادة فى عصر الخلفاء أن من تخلّف عن تأدية الواجب ، أى الجهاد الذي يكلف به ، يشهر به علناً بين الناس ويعاقب أشد العقاب .

بلغ عدد الجيش فى أيام الخليفة عمر زهاء مائة وخمسين ألفاً من المقاتلين ، نظموا فى فرق (وحدات) وجعل على كل منها أمير من شجعان الصحابة أو علية القوم ومن ذوى التجربة وأصالة الرأى فى الشئون الحربية . ولما زاد العدد ، أنشأ عمر ديوانا لتسجيل أسماء المقاتلين وأعطياتهم . . . كما قلنا . . وعلى مر الزمن تضاعف عدد الجيش تبعاً لتوسع الفتوح العربية على أيام عثمان . . فقد امتدت فى أيامه حتى شملت أرمينية وبلاد القفقاس وبقية فارس وخراسان وطبرستان وشمالى أفريقيا .

والجدير بالذكر أن الجند فى عهد الخليفة عمر كانوا فريقين :

١ – الجند النظامى (الخدمة الإجبارية) وهؤلاء الذين احترفوا الجندية .
٢ – المتطوعة وهؤلاء هم الذين يشتركون فى أعمال الجيش فى أثناء الحرب فقط ثم يسرحون فى السلم .

وقد حرم على الجند النظامى مزاولة الزرع وغيره فى حين كان المتطوعة أحراراً فيما يزاولونه من الأعمال[١] .

وبعد سنوات نظم أسلوب القبول فى الخدمة العسكرية وجعل للجندية شروطا شرعية أهمها :

١ – البلوغ .
٢ – الإسلام ليدفع عن الملة باعتقاده .
٣ – السلامة من الآفات المانعة من القتال .
٤ – الإقدام على الحروب ومعرفة القتال .

وهذه الشروط الأربعة متفق عليها . وقد اختلف على الشرط الخامس وهو الحرية بألا يكون المقاتل « مملوكاً » تابعا لسيد ..[٢] .

مشاهير القادة فى الفتوح الخليفية :

معظم قادتنا فى تلك الأيام نهضوا بأعمال القيادات فى الغزوات النبوية وبرهنوا على كفايتهم ، وجميعهم حقاً من أبطال الإسلام ، نذكر

---

(١) نعمان ثابت : الجندية فى الدولة العباسية – ص ٨٩ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية فى الولايات الدينية – ص ٢٠٣ – ٢٠٤ – القاهرة .

منهم أسامة بن زيد ، وطلحة بن عبدالله (تَ ٣٦) ، والنعمان بن مقرن بطل نهاوند (٢١ هـ / ٦٤٢ م) ، وخالد بن الوليد (٢١ هـ / ٦٤٢ م) ، وأبو عبيدة بن الجراح (ت ١٨ هـ / ٦٣٦ م) . والمثنى بن حارثة بطل العراق (ت ٦٣٥ م) ، والزبير بن العوام (٣٦ هـ / ٦٥٦ م) ، وسعد ابن أبي وقاص بطل القادسية (٥٥ هـ / ٦٧٤ م) ، وعمرو بن العاص بطل فلسطين ومصر (ت ٤٣ هـ / ٦٦٣ م) وعبد الله بن عامر بطل خراسان (٥٧ هـ / ٦٧٨ م) ، وعبد الله بن أبي سرح بطل شمالي أفريقيا (ت ٥٧ هـ / ٦٧٨ م) ، وعقبة بن نافع بطل المغرب ومؤسس القيروان (تَ ٦٢ هـ / ٦٨٢ م) وغير هؤلاء الأبطال رضوان الله عليهم .

أساليب الحرب فى أثناء الخلافة الأموية
(٦٦١ – ٧٥٠ م)

ديوان الجند ورواتبهم .

عدل الديوان كثيراً عما كان عليه فى أيام الخلفاء الراشدين ، وزادت رواتب الجند فى أيام الخليفة معاوية إلى ألف درهم سنوياً ، وفى سنة ٧٤ هـ كان بالعراق قرابة ستين ألفاً من مستحقى العطاء بلغت رواتبهم وأسرهم ستين مليوناً من الدراهم سنوياً . بالإضافة إلى عطاءات أخرى كانت تمنح للجند حين يقومون بمهام كبرى .

وفى عهد الخليفة الوليد بن يزيد زادت رواتب الجندى عشرة دراهم ، إلا أن هذه الرواتب حينما أصبحت ثقيلة على الديوان أخذت تتناقص حتى وصل راتب الجندى فى نهاية الدولة الأموية خمسمائة درهم . . وكانت أعمال القتال قد أخذت تقل عن ذى قبل . .

الجيش الأموى

بلغ عدد الجيش الأموى أعداداً كبيرة ، فاصطدم فى معركة صفين (٧٣ هـ) قرابة ١٧٥,٠٠٠ من المحاربين من الجانبين ، وبلغ عدد الجند

فى معسكرى البصرة والكوفة ١٤٠,٠٠٠ مقاتل. أما فى معسكر الفسطاط فقد بلغ عدد المرابطين ٤٠,٠٠٠ مقاتل ، وكان جند الشام نحو ذلك ، بالإضافة إلى القوات العربية المحاربة فى شمال أفريقية والمعسكرة فى وسط وشمال العراق ، وغير الذين عهد إليهم حماية الثغور التى عند الحدود البيزنطية . ونستدل من بعض المراجع أن يزيد بن المهلب عندما حمل على جرجان وطبرستان جرد ضدهما ١٢٠,٠٠٠ من الجند المرتزقة . أى ممن أدرجت أسماؤهم ورواتبهم فى ديوان الجند ، بالإضافة إلى المتطوعة والأتباع الذين يجاهدون فى سبيل الله .

أساليب الحرب

لقد أفاد خلفاء بنى أمية كثيراً من نظم الحرب المطبقة عند الفرس والبيزنطيين وشعب البربر ، فجعلوا خدمة الجيش حرفة منظمة ، وأخذت أساليب القتال تتبلور عن عقيدة حربية عربية بعد ما اقتبسوه من الأساليب المعاصرة فى فن الحرب . تلك الأساليب المتصلة بالمشاة أو الفرسان أو بفرق الهندسة .

طبق القادة الأمويون أسلوب تعبئة الخمس والكراديس ولم يستخدموا نظام الزحف بالصفوف إلا نادرا ويمكن القول بأن مروان الثانى آخر الخلفاء الأمويين وهو محارب كفء وخبير بشئون القتال يرجع إليه الفضل فى إدخال أنظمة شتى أدركها بتجاربه وفطنته ، وكان أهمها

كما ذكرنا نظام الكراديس ويمكن القول بأن الأسلوبين : الزحف بالصفوف والكراديس اتبعا أثناء القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) .

وقد ذكر الهرثمى الشعرانى فى رسالته « مختصر سياسة الحروب » أنه ألفه للخليفة المأمون ، ولا يعلم تاريخ تأليفه الكتاب على وجه الصحة – إذا كان فى القرن الثانى أو الرابع [١] .

على أى حال ، فلدينا هذا المرجع العربى القديم شرح فيه الهرثمى ثلاثة أنواع من التعبئة حينما تحدث عن أشكال الصفوف للقاء .

١ – الصف المستوى أوفق الصفوف :

وهو الذى فيه الجناحان والقلب فى خط مستقيم وهو أنسبها للعرب ، ولم يذكر فيه جنوداً احتياطيين فى المؤخرة .

٢ – الصف الهلالى :

وهو الخارج الجناحين ، الداخل الصدر ، وهو أوثق للقلب وأضعف للجناحين ، ولذا كانوا يصيرون مع كل طرف من الجناحين

---

(١) الهرثمى صاحب المأمون : مختصر سياسة الحروب – تحقيق عبد الرؤوف عون ، ومراجعة د . محمد مصطفى زيادة . المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٤ ، ص ٣٤ – الباب السابع عشر – انظر أيضا للمحقق . الفن الحربى فى صدر الإسلام / ٣٦ . ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

الخارجين كردوسا من الخيل ليكون وقاية لها وليعلوتا القائد على الإفادة منها فى المطاردة إذا رغب .

٣— الصف المطوف :

وهو الداخل الجناحين ، الخارج الصدر ، وهو أضعف للقلب وأقوى للجناحين ، وهو مكروه ولا يكون إلا عن ضرورة ، وكانوا إذا كان ذلك صيروا أهل الناس ميمنة وميسرة ليكون أشد للقلب ، أو عمدوا إلى تقوية القلب بكردوسين من الخيل بحيث يكونان أمامه قليلا ، لرد أى هجوم .

ويجب ألا يتسرع القائد ، فيبدأ القتال أو الهجوم ، وكان الخلفاء يعاقبون من يتسرع فى الحرب . فإذا اضطر القائد إلى القتال ، نظم قواته طبقا لحالتى الشمس والرياح فلا يجعلهم يقاتلون والشمس فى عيونهم أو حين هبوب الريح فى وجوههم ، فإن استطاع أن يجعل مواقع الجند بحيث تهب الريح من خلفها فعل ، وإلا استدار منحرفاً بحيث تهب على جانبه .

ثم يأخذ القائد موقعه فى قلب الجيش ، على مرتفع من الأرض ويلقى أوامره ، ويراقب سير المعركة ويصلح الأخطاء التى يشاهدها أولا بأول ، ويسمى هذا العمل إدارة المعركة ، وتبدأ الأوامر بالتكبير وضرب الطبول . وعمل الخيالة عند بدء المعركة يكون بالقتال والكر ، فإذا حمى

القتال ، فعليها حماية جناحى الجيش ، أما كتائب المشاة فى المعركة فهى بين كر وفر ، ويجب أن يسود الصمت ميدان التطاحن ، فالضجة من أسباب الفشل .

وإذا دنت المعركة من نهايتها ، زاد ثبات المسلمين واشتد ضغطهم على العدو ، متحلين بالصبر ، فإذا انهزم أمامهم أسرعت إحدى الكتائب بتعقب الفارين بالرماح والسيوف ، وقد تخففت من الدروع ، وكل ما يثقلها ، وتأخذ بقية الجيش فى جمع الغنائم والسبايا وتسليمها إلى صاحب الأقباض . فإذا توقع المسلمون فوز العدو لمفاجأتهم بسلاح جديد لم يألفوه كالفيلة يوم معركة القادسية أو لخطأ حربى وقع منهم ، استعدوا للانسحاب المرتب السريع بعد أن يشرعوا أسنتهم نحو الأعداء ليستروا انسحاب زملائهم حتى لا تصيبهم هزيمة منكرة ، فإذا انسحب كل من الجانبين بانتهاء المعركة ، انصرف كل منهما إلى نقل الجرحى ودفن الموتى وإحصاء المفقودين .

وتظهر كفاية القائد الحربية بسرعة خاطره ومبادرته وحسن تصرفه فى حل المشكلات ، وكثيراً ما فعل خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، والمثنى بن حارثة الأعاجيب .

وقد أجاد القادة استخدام الكمائن فى معاركهم ، وأول من أتقنها القائد خالد وخاصة فى معركة الولجة بالعراق ، كما فعل عمرو بن العاص فى معركة عين شمس بمصر حينما خدع الروم بأن خبأ لهم كميناً فى جبل

المقطم ، وخبأ كميناً آخر إلى يسارهم عند قرية أم دنين فلما اشتدت المعركة ، انقض كمين الجبل على ميمنة الروم ، فاتجهوا يساراً ، فلقيهم كمين الميسرة ، فحصروا بين قوات العرب الثلاث ، فاختل نظامهم وحلت بهم الهزيمة[١] .

وكان مروان بن محمد الخليفة والقائد الأموى يجيد عمل الكمائن .

وكثيراً ما لجأ القادة العرب إلى الحيل الحربية لتقوية الروح المعنوية فى جندهم ، كإيهامهم بقدوم الأعداء لهم ، وممن عرف بهذه الحيل فى أيام الأمويين ، المهلب بن أبى صفرة لدرجة أن جنده كانوا إذا شاهدوه مقبلاً قال بعضهم لبعض : « لقد غدا عليكم المهلب ليكذب لكم . »[٢]

وكان قادة الأمويين يلجئون إلى الاستطراد ، وهو أن يظهر القائد الهزيمة أمام عدوه ليتبعه ، فيبعده عن قواعده ، وتطول خطوط مواصلاته ، ثم يكر عليه مرة واحدة ، ويصدمه بقوة ليهزمه . . وقد نصح الهرثمى صاحب المختصر فى سياسة الحروب ، قادة المسلمين بأن العدو إذا استطردهم ألا ينخدعوا ويحملوا عليه ، بل عليهم أن ينتظروا ويثبتوا . .

---

(١) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ١ ص ٨ .

(٢) عبد الرءوف عون : الفن الحربى فى صدر الإسلام ص ٢٥٠ – ٢٥١ ، دار المعارف .

وصايا الحرب فى العصر الأموى .

ولدينا صورة واضحة لتعبئة الجيوش فى أيام الأمويين وصلت إلينا فيما كتبه عبد الحميد بن يحيى العامرى عن الخليفة مروان بن محمد (ت ٧٥٠ م) إلى عبد الله بن مروان ، وكان قد ولاه لقتال الضحاك بن قيس الخارجى ، وهى رسالة طويلة احتوت على طائفة من الآراء الحربية التى سادت زمن الأمويين[1] نقتطف منها بعض عباراتها السديدة عن فن الحرب ، قال عن التعرف على أحوال العدو :

« أذك عيونك على عدوك متطلعاً لعلم أحوالهم التى يتقلبون فيها ، ومنازلهم التى هم فيها ومطامعهم التى قد مدوا أعناقهم نحوها ، وأى الأمور أدعى لهم إلى الصلح ، وأقودها لرضاهم إلى العافية ، وأسهلها لاستنزال طاعتهم ، ومن أى الوجوه مأتاهم . . » ثم ينصحه بماذا يفعل حينما يكون على مسافة دانية من العدو : « وإذا كنت من عدوك على مسافة دانية وكان من عسكرك مقترباً قد شابت طلائعك مقدمات ضلالته وحمأة فتنه ، فتأهب وخذ اعتداد الحذر ، وكتّب خيولك[2]

---

(١) كتب عبد الحميد هذه الرسالة سنة ١٢٩ هـ (٧٤٧م) صبح الاعشى ج ١٠ ص ١٩٥ ، عصر المأمون للدكتور احمد فريد الرفاعى – المجلد الثانى ص ٢٠ – ٥٣ (وقع عبد الحميد أسيراً فى قبضة الجند العباسى وأخذ إلى الخليفة السفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠م) .

(٢) كتّب الجيش أو الخيل : اجعلها كتائب .

وعبء جنودك ، وإياك والمسير إلا فى مقدمة وميمنة وميسرة وساقة ، قد شهروا الأسلحة ، ونشروا البنود والأعلام ، وعرف جندك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم قد أخذوا أهبة القتال واستعدوا للقاء ، عارفين بمواضعهم فى مسيرهم ومعسكرهم . . قد عرف كل قائد منهم أصحابه مواقفهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة . غير مخلين ، ولا متهاونين . .

ثم اجعل على ساقتك أوثق أهل عسكرك فى نفسك صرامة ونفاذاً ورضاً فى العامة وإنصافاً من نفسه للرعية ، مستشعراً بقوى الله وطاعته . . واجعل خلف ساقتك رجلا من وجوه قوادك جليداً ، ماضياً ، عفيفاً ، صارماً ، شهم الرأى ، شديد الحذر ، شكيم القوة ، غير مداهن فى عقوبة ، ولا مهيمن فى قوة . . وإذا تدانى الصفان ، وتوقف الجمعان واحتضرت الحرب ، وعبأت أصحابك لقتال عدوهم ، فأكثر من قولك : لا حول ولا قوة إلا بالله والتوكل على الله عز وجل والتفويض إليه . . آيدك الله بالنصر ، وغلب لك على القوة ، وأعانك على الرشد ، وعصمك من الزيغ ، وأوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الأصفياء ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . .

الجيش الأموى فى الأندلس :

تكلمنا عن الجيش الأموى فى المشرق العربى ، ونتحدث الآن بإيجاز

عن الجيش الأموى فى أقصى المغرب بعد أن تم للقادة طريف وموسى بن نصير وطارق بن زياد فتح الأندلس .

كان الجيش الإسلامى الذى فتح الأندلس (٧١١ م) مؤلفاً من العرب والبربر ، وكان ينقسم من حيث السلاح إلى مشاة ويتسلحون بالرماح والسيوف والتراس ، ورماة يحملون القسى والسهام ، وفرسان يستعملون المزاريق والسيوف ويلبسون الزرد أو الدروع الخفيفة ، وكان الخيالة يؤلفون القوة السريعة الضاربة وهى التى تنهض بالمطاردة والتطويق وأعمال الحصار وعلى مر الزمن التحق بخدمة الجيش كثير من الصقالبة بعد دخولهم الإسلام ، والمرتزقة .

فلما تولى الحكم المنصور بن عامر استكثر من البربر والصقالبة وأضعف من العرب . . وكانت أساليب القتال فى أول أعوام الفتح هى الأساليب العربية ، وقد برز من قادة الجيش الأندلسى فى عهد الولاة :

السمح بن مالك الخولانى الذى استشهد فى سبتمانيا عام ١٠٣ هـ (٧٢١ م) وعنبسة بن سحيم الذى مات شهيداً فى فرنسا عام ١٠٧ هـ (٧٢٥م) ، وعبد الرحمن الغافقى الذى قتل فى معركة بواتيه (على بعد ٧٠ كيلومتراً جنوبى باريس) . وهى أقصى ما وصلت إليه القوات العربية فى الشمال .

واشتهر من القادة فى العصر الأموى : القادة عبد الملك بن عبدالواحد ، وشقيقه عبد الكريم بن عبد الواحد فى عهد الخليفة

هشام ، والحكم بن هشام والأمير عبد الرحمن الأوسط ، والقائد أبو العباس أحمد فى عهد الناصر لدين الله ،وغالب الناصرى ، واحمد بن يعلى ، ويحيى بن محمد التجيبى ، وقاسم بن مطرف .

وقد تولى المنصور بن ابى عامر قيادة الجيش الاندلسى بنفسه ، وجدد نظم الجيش وزاد من عدد الجند المرتزقة ، وصار يغزو كل عام غزوتين ، واحدة فى الشتاء ، والأخرى فى الصيف طوال سنى حكمة ، وقيل إن المنصور غزا اثنتين وخمسين غزوة لم يهزم فى واحدة منها .

وكان من أعظم قادة المرابطين فى الأندلس :سير بن أبى بكر ، والأمير يحيى بن واسنو ، ومحمد بن سعد بن مردنيش ، واشتهر من قادة الموحدين أبو حفص عمر ، وأبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن ، والقائد شقاف .

وكان خلفاء الموحدين يفضلون قيادة الجيش ،وقد استشهد الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف فى شنترين بالبرتغال .[١] .

مشاهير القادة الأمويين :

أصبحت الدولة العربية فى ظل حكم الأمويين اقوى الدول فى العالم ، وذلك بعد ان سيطرت على الأقاليم الشاسعة فى أسيا ، والشمال

---

(١) دائرة معارف الشعب ج ٢ عام ١٩٥٩ الطائفة من المؤرخين المتخصصين فى الأندلس .

الافريقى ، ولاسيما فى هذا الجزءالهام من العالم وهو مصر ، فضلا عن أسبانيا كلها وبعض المناطق الجنوبية فى فرنسا وايطاليا ، فضلا عن عدة جزر كبيرة فى شرق البحر المتوسط .. تم ذلك بفضل كوكبة عظيمة من القادة الأفذاذ الذين قلما يتوافر مثلهم فى أية دولة أخرى ومن هؤلاء :

- القادة : زهير بن قيس (ت٧١هـ /٦٩١) وحسان بن النعمان (ت ٨٦ هـ/٧٠٥) بطلا الشمال الأفريقى .
- محمد بن القاسم (ت ٩٥ هـ / ٧١٤) فاتح السند .
- قتيبة بن مسلم(ت ٩٦هـ/٧١٥) فاتح إقليم ماوراء النهر .
- الحاج بن يوسف الثقفى (ت ٩٥هـ/٧١٤ م) .
- موسى بن نصير (ت ٨٦/٧٠٥ م) بطل المغرب والأندلس .
- طارق بن زياد (ت ٩١هـ/٧٠٩ م) بطل الأندلس بعد طريف
- عبد العزيز بن نصير (ت ٩٧هـ/٧١٦ م) .
- يزيد بن المهلب (ت ١٠٢هـ/٧٢٠ م)بطل طبرستان وجوهستان .
- مسلمة بن عبد الملك بن مروان(ت١٢٠هـ/٧٣٨ م) بطل آسيا الصغرى .
- أشرس بن عبد الله السلمى (ت١١١هـ/٧٢٩ م)بطل خراسان .

– الجنيد بن عبد الرحمن المرى (ت١١٦هـ/٧٣٤ م)بطل خارسان .

– سعيد الحرش(ت١١٠هـ/٧٢٨ م) .

– عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)(ت ١٧٢هـ /٧٨٨ م) أمير الأندلس .

– مروان بن محمد بن مروان (ت٧٥٠) اخر الخلفاء الأمويين وقائد معارك شتى .

* * *

حينما اعتلى مروان الثانى عرش الأمويين (٢٣نوفمبر٧٤٤ م) كانت أحوال دولته فى أقصى الإضطراب ، فقد استولى الخوارج على الكوفة (يونية ٧٤٥ م)ومن بعدها الموصل(٧٤٦ م) ، وفى الوقت الذى أشعل فيه بنو العباس الثورة فى خراسان وأعلن أبو مسلم الخراسانى علنا ثورته على بنى أمية ، امتد لهبها إلى إقليم الأردن ، فى الوقت الذى استولى فيه أبوهبيرة على الكوفة ، وتشتعل الحرب الأهلية بين القيسيين واليمنيين فى خراسان ، ويستولى الثوار على مدينة الرى ، ويتولى أبو مسلم حكم خراسان (مارس ٧٤٨ م) فى الوقت الذى يصبح فية الحجاز بقبضة الخوارج . وفى ٢٨ أكتوبر ٧٤٩ م يتولى السفاح الخلافه فى الكوفه وتتفكك الدولة الأموية .

وفى ٢٥ من يناير ٧٥٠ م يلاحق عبد الله بن على– قائد بنى

العباس– قوات مروان عند نهر الزاب ويلتقى الجمعان وتدور رحى الحرب ، وتقع الكارثة ، ويهزم مروان فى معركه الزاب التى تعتبر من معارك التاريخ الإسلامى الفاصلة ، كانت معنويات القوات الأموية قد انهارت ، واختلت صفوفها قبل المعركه ، ولم يجد مروان أمامه سوى الفرار إلى فلسطين ثم مصر حيث لاقى حتفه (٥ من أغسطس ٧٥٠) . ومن ثم تنفس الفرنجة الصعداء ... وتغير وجه التاريخ .

أساليب الحرب فى أثناء العصر العباسى الأول

(٧٥٠ م – ٩٥٠ م)

قضى بنو العباس نهائيًا على الأمويين بعد أن تمكنوا من تدبير الفتن والثورة بسرية تامة فى الأقاليم البعيدة عن دمشق وخاصة خراسان . وعن طريق خلايا المتآمرين فى صفوف الجيش الأموى . وتمكن العباسيون أن يجعلوا الكوفة ثم الأنبار قاعدة لهم بدلا من دمشق . . .

● **تأليف الجيش العباسى وزوال عروبته :**

كان الجيش العباسى ربيب الثورة ثم أضيف إليه بعض الفرق الأموية التى خانت محمد بن مروان ، ورفضت القتال تحت رايته . وكان من الطبيعى أن يعاد تأليف الجيش العباسى من جديد فى ضوء الدولة الناشئة ، بيد أن أبا مسلم الخراسانى لم يتمكن لأنه قتل بعد أربع سنوات من توليه الخلافة (٧٥٤ م) وتولى أبو جعفر المنصور الحكم من بعده ومن ثم فهو يعتبر المؤسس الحقيقى للدولة العباسية بعد ما ورثت الدولة الأموية التى كانت بالرغم مما ألمّ بها أقوى دول العالم .

اهتم أبو جعفر اهتماما عظيماً بالجيش ، فألفه من ثلاث فرق من عصبيات مختلفة وهى : مضر – عرب الشمال ، واليمنية – عرب

الجنوب ، والخراسانية أهل إقليم الثورة وظل هذا التقسيم سارياً فى عهد خلفاء المنصور إلى أن أضاف الخليفة المعتصم فرقتين ، تتألف إحداهما من الترك ، والأخرى من المغاربة .

وكان الغرض من إنشاء تلك الفرق المتنوعة العصبيات ، الحيلولة دون حدوث فتنة ولمواجهة كل فرقة بالأخرى ، بيد أنه كان لذلك مساوئ أخرى أهمها أن هذا التقسيم **حطم وحدة الروح بين أفراد الجيش** الإسلامى ، **وأدخل بدلا منها روح التنافر والمنافسة** والطموح إلى السلطة . . وهذا ما حدث فى أيام المعتصم الذى ألف من الترك حرسه الخاص ، فكان لفطرتهم وطيشهم أن سخط عليهم أهل بغداد ، فاضطر إلى نقل مقره مع رياسة حرسه إلى مدينة سامراء التى شيدها على الشاطئ الأيمن لدجلة فى الشمال ، ولم يلبث أن اشتد ساعد قادة هؤلاء ، وصار بيدهم أمر عزل وتعيين الخلفاء كما يرغبون !

كانت مناصب القيادة العُليا فى أيام الأمويين بيد الطبقة الارستقراطية من العرب ، فأصبحت فى العصر العباسى مفتوحة أمام جميع الجنسيات ، كما نال الجند من شتى الجنسيات معاملة وأرزاقاً على قدم المساواة ، فاجتذبت الجندية معتنقى الإسلام فى الشام ومصر وأفريقية والعراق وفارس وبلاد ما وراء النهر إلى صفوفها ، لأنها كانت أكثر الأعمال ربحاً . والجدير بالذكر أن إقليم خراسان ظل يمد الجيش العباسى بغالبية الجند – على الأقل – لمدة قرن (٨٣٣م) .

عطاء الجند :

وبلغ متوسط راتب الجندى من المشاة فى عهد الخليفة العباسى الأول حوالى ٩٦٠ درهماً سنويًّا ، فضلا عن المقررات السنوية والعطاءات وما يخص الجندى من الغنائم ، ونال الفارس راتباً ضعف راتب جندى المشاة . وفى نهاية عهد الرشيد انخفض مرتب الجندى من المشاة إلى ٦٠ درهماً شهرياً بدلا من الثمانين درهماً التى كان السفاح يعطيها . ثم انخفض الراتب فيما بعد فى أيام الخليفة المأمون إلى عشرين درهماً شهريًّا . وصار الجندى من الفرسان يأخذ ٤٠ درهماً . بيد أنه فى أثناء الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون دفع كل منهما لجنده ١٦٠ درهماً سنويًّا . وكلما اتسع مجال التجنيد انخفضت رواتب الجند ، ويرجع ذلك إلى وجود عدد ضخم من الراغبين فى الجندية .

ولا يخفى أن الخدمة العسكرية فى العصر العباسى لم تعد تشتمل على كثير من المخاطرة ، كما كانت فى أيام الأمويين أو الخلفاء الراشدين . ذلك لأن الإسلام قد استقر فى أقاليم شاسعة ولم تعد الفتوح متلاحقة ، وإنما حدثت على فترات ، ولذلك لم تدفع الخزينة الرواتب العالية إلا للجند المقيمين فى الأقاليم المعرضة فيها حياتهم للخطر بسبب الحرب أو الثورة .

وفى العصر العباسى صار الجند رتباً ، فصار على كل عشرة من

المقاتلين عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء (أى مائة مقاتل) نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء بجنودهم (ألف مقاتل) قائد – وعلى كل عشرة قواد بجنودهم (عشرة آلاف مقاتل) أمير وهكذا . . .

ولم يقتصر الوضع على تجنيد العناصر الخراسانية والتركية والعربية ، فإن فرق المرتزقة ازداد عددها ممن انضم إلى صفوفها من أهالى فرغانة والزنج والمصريين ، واشتهر الخليفتان المعتصم والمتوكل بالمبالغة فى نفقات الجيش ، ومع ذلك فقد اغتيل المتوكل فى سامرا بعد سنوات قليلة من توليه الحكم بإيعاز من القادة الترك ، وبيد القائد باغر (الطبرى ج ٣ ص ١٥٣٥) . والواقع أن الخلفاء العباسيين منذ أيام المعتز الذى خلف المتوكل كانوا جميعا ألاعيب يحركها القادة الأتراك . . . باستثناء الموفّق وابنه أبى العباس اللذين قادا الحملات الظافرة ضد الثوار الزنج فى جنوبى العراق ، وكانت قواتهما تغلبها عناصر الخيالة .

تعبئات القتال :

واستخدم الجيش العباسى مختلف التعبئات التى طبقها الأمويون والخلفاء الراشدون . وكان القادة لا يتقيدون باستخدام أسلوب معين من تلك التعبئات ، بل إنهم عدلوا فى ترتيب أوضاع جنودهم وفى أشكال هذه الترتيبات . ففى إحدى المعارك التى نشبت بين قوتين عباسيتين – بين الخليفة المأمون وشقيقه الأمين فى خراسان عام ١٩٥ هـ (٨١٠م) رتب

كل من قائدى الجانبين المتحاربين : طاهر ، وعلى بن موسى جنودهما فى تشكيلين مختلفين ، فقد طبّق على بن عيسى الترتيب التقليدى وهو قلب وجناحان ، ثم رأى أن عدد رجاله قليل ولا يمكنهم التقدم فى خط مستقيم . . . ولذلك قسم جنوده إلى ألوية ، كل لواء عدده ألف مقاتل ، ثم هجم بجناحيه ودافعاً إلى الأمام الراية بعد الأخرى وبين الألف والأخرى حوالى فرسخ ، وفى الوقت نفسه أمر قواده ، بأن يقوموا بالهجوم متناوبين (بالدور) ثم ينسحب الجنود ليعودوا ثانية إلى الهجوم بعد مدة من الراحة . وبقى القائد على فى القلب مع حرسه الخاص والشرفاء . .

أما القائد الآخر طاهر الخصم ، فقد رتب قواته فى كتائب وكراديس فلم يستطيعوا الصمود أمام هجمات الوحدات الثقيلة المعادية . . وكاد يهزم لولا أنه استجمع قواه ودفع برجاله فى أحد فواصل الخصم ، وأسرع بهجوم مفاجئ على قلب الطرف المعادى الذى ظل فى مكانه ، ثم اضطر إلى الفرار قبل الانقضاض المباغت (الطبرى ، ج ٣ ص ٨٢٣ وابن الأثير ج ٦ ص ١٦٨) .

قلنا إن العباسيين تفننوا فى تعبئة الجيوش بفضل ما اكتسبوه من الخبرة ، فتعددت ضروب التعبئة عندهم حتى صارت خمس تعبئات ، وهى الكر والفر ، ٢ – تعبئة الخميس ، ٣ – تعبئة الصف أو الزحف

وقد قسمها محمد بن منكلى[١] إلى ثلاثة أنواع سبق أن ذكرناها وهى الصف المستوى ، والصف الهلالى ، والصف المعطوف . ٤ – وتعبئة الكراديس . ٥ – وتعبئة الانفتاحات التى قيل إنها أخذت من الفرس الأوائل ، وهذه التعبئة على سبعة أنواع :

١ – أن ترتب على شكل هلال وله صورتان . المرسل ويسمى الأجم ، ويسمى أيضا الهلال الحاد وهو الهلال الذى يجمع قوس جنبيه وساقه زاويتان حادتان على شكل الهلال .

٢ – أن ترتب التعبئة على شكل هلال مركب بوجود هلالين إلى كل من جانبى الهلال الأصلى كأنهما جناحان .

٣ – أن يكون الترتيب على شكل المربع المستطيل ويراد أن يكون طوله مثل عرضه مرتين .

٤ – أن يكون الترتيب على شكل الهلال المقلوب .

٥ – أن يرتب الجيش على شكل المعين أو المربع المنحرف .

٦ – أن يرتب الجيش على شكل مثلث .

٧ – أن يرتب الجيش على شكل الكرة ، ويسمى أحيانا التنورة ،

---

(١) محمد بن منكلى : الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية (مخطوط رقم ٢٨٣٩ بخط المؤلف ورقة ١٣ – ١٤ ، مكتبة أيا صوفيا فى استانبول . وله مؤلفات حربية أخرى . فى دار الكتب المصرية ومكتبة المتحف البريطانى .

وهو عبارة عن دائرتين متداخلتين (دائرة مزدوجة) وكان هذا الترتيب يجرى إذا كان عدد الجيش أقل من جيش العدو [١] .

معارك العباسيين :

لقد انتهت فى أيامهم معارك تلك الفتوحات الكبرى التى خاضها الأمويون ، واقتصرت الأعمال الحربية على إخضاع الثورات العديدة فى الأقاليم أو بعض الحملات ضد البيزنطيين .

(ا) كانت أولى المعارك - معركة نصيبين (١٣٧ هـ - ٧٥٥ م) التى نشبت بين عبد الله بن على عم « أبو العباس السفاح » حين امتنع عن بيعته لأبى جعفر المنصور ، وبين أبى مسلم الخراسانى القائدالذى وجهه المنصور إليه ، واستمر القتال ستة أشهر كان أغلب النصر فيه لعبد الله وأصحابه ، بيد أنه انتهى بقرار عبد الله وانهيار جيشه .

(ب) معركة باخمرا التى نشبت سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) فى باخمرا بالقرب من الكوفة بين إبراهيم العلوى لنقضه بيعة الخليفة أبى جعفر المنصور وجيشه تحت قيادة عيسى بن موسى ، وقد انتهت المعركة بقتل ابراهيم .

---

(١) فصل التعليم التاسع وعنوانه فى تعبئة الأمير الصفوف فى القتال - فى كتاب بالألمانية عنوانه تكتيك ايليانوس - من تحقيق وستنفلد - جوتنجن عام ١٨٨٠ - انظر التمدن الإسلامى ج ١ ص ١٦٩ .

(ج) معركة مروا ليرور التى نشبت عام ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) بين المتمردين الخراسانيين وخازم بن خزيمة قائد المنصور وانتهت المعركة بهزيمة الخراسانيين .

(د) معركة الحديثة التى نشبت عام ١٧٨ هـ (٧٩٤ م) بين الوليد ابن طريف التغلبي الشارى الذى ثار على الرشيد وبين القائد يزيد بن مزيد الشيبانى وقد انتهت المعركة بمقتل الوليد .

(هـ) المعارك الدموية التى نشبت بين جيوش المعتصم وبين قوات بابك الخرمي وقد تألفت من أهل الجبال وهمذان وأصفهان ، واستمرت ثورته قرابة عشرين سنة وهزم جيوش الخليفة المأمون عدة مرات ، ثم قتل وأخمدت ثورته فى أيام المعتصم ، وكان القائد الذى ظفر به هو الأفشين التركى . وأهم معارك تلك الثورة – وقعة همذان (٢١٨ هـ – ٨٣٣ م) فى أول ولاية المعتصم – ووقعة البز (٢٢٠ هـ – ٨٣٥ م) وكانت مركز بابك الحربى .

(و) معركة عمورية (٢٢٢ هـ – ٨٣٨م) . قادها المعتصم بنفسه ضد جيوش البيزنطيين المحتشدة فى ضواحى عمورية (جنوب غربى أنقره) وآدار حركاتها العسكرية وكان يصدر أوامرها اليومية . وقد حاصر المعتصم عمورية لمدة خمسة وخمسين يوماً ، وكان غالبية جنود الحملة من الأتراك والفراغنة وقادتها أيضا ، منهم أشناس وهو من أقدر قوات المعتصم ، وايتاخ ، والأفشين حيدر ، وعمرو الفرغانى ، وبغا

أبو موسى – ومن القادة العرب : هرثمة بن النضر ، وعجيفة بن عنبسة ، وجعفر بن دينار ، ومحمد بن إبراهيم ومحمد بن سعيد السعدى (١) .

ولا يتسع المجال لوصف مراحل المعركة من مرحلة الحشد والمسيرة والحصار وأدوار المعركة التى خاض غمارها الجيش الأساسى ، فقد جعل المعتصم مقدمته تحت قيادة القائد أشناس والميمنة لإيتاخ ، والميسرة لجعفر ابن دينار بن عبد الله الخياط ، وجعل القلب تحت قيادة عجيف بن عنبسة .

بدأت المعركة الختامية فى يوم الخميس من ٢٥ شعبان ٢٢٣هـ ، وتمكن البيزنطييون من النصر فى بادئ الأمر ، ثم تقدم فرسان المسلمين أثناء الظهيرة ، فانتزعوا الفرار من خصومهم وهزموا الروم وطالت المعركة حتى الليل ، فتمكن هؤلاء من الفرار ، والملك بين جنوده فى اتجاه أماشيا وأنقرة . . .

اضمحلال الدولة العباسية :

بدأت الدولة العباسية قوية مهيبة ، واستمرت قرابة مائة وخمسين

---

(١) أحمد رمزى : مقاومة الحروب ، عام ١٩٥٣ – معركة عمورية ص ٢٤١ – ٢٧٤ ، يراجع فيه أكمل وصف للمعركة يمتاز بالدقة والتعمق وكتاب العرب والروم لفازيليف ، وترجمة د . م عبد الهادى أبو شعيرة ، ص ١٣٠ – ١٦٥ .

سنة على هذا الحال (حكم العباسيون فى بغداد ٥٢٤ عاما من سنة ١٣٢ هـ الى ٦٥٦ هـ) (٧٥٠ م – ١٢٥٨ م) وذلك على ثلاثة أدوار :

الدور الأول : دور القوة والعمل ، أو العصر العباسى الذهبى ويبدأ من سنة ١٣٢ هـ إلى أول خلافة المعتصم بالله الخليفة العباسى الثامن سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣م) وفى خلال هذا الدور كانت الجيوش عربية وخراسانية والقادة من الطرفين .

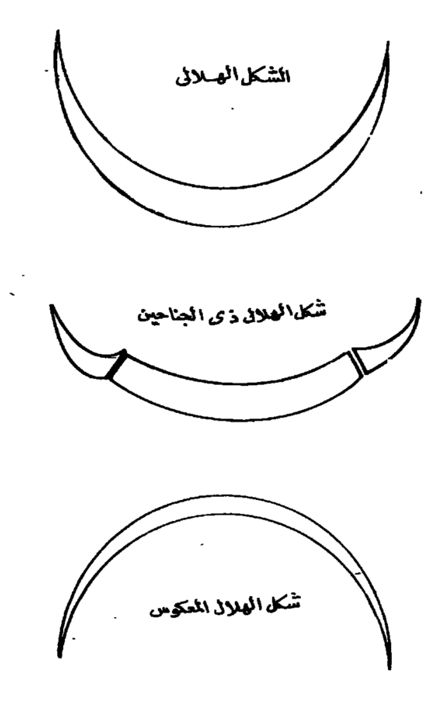
الدور الثانى : ويبدأ من تولى الخليفة المعتصم بالله سنة ٢١٨ هـ وينتهى باغتيال المتوكل على الله سنة ٢٤٧ هـ (٨٥١ م) (وخلفاء هذا الدور هم : المعتصم والواثق والمتوكل ، وكان الجيش العباسى فيه تركيًّا لا صلة له بالعراقيين .

الدور الثالث : ويبدأ من مقتل المتوكل على الله سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) إلى أول خلافة المقتدر بالله سنة ٢٩٥ هـ (٩٠٨ م) . . وكان الجيش فيه تركيا . .

وسنوقف الحديث فى موضوعنا عند هذا الحد – دون الاسترسال حتى خاتمة الخلافة العباسية فى بغداد ، إثر وقوعها فى قبضة التتر وقتل المعتصم سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . . . بعد أن تبدلت نظم الجيش العربى ، بما أدخل عليه من نظم مختلفة تتصل بطبيعة الأسرات الحاكمة التى تعاقبت على العراق . من وراء النهر – أو البويهيين أو الصفاريين والسامانيين ، والغزنومين والسلاجقة ولا ننسى دولة الحمدانيين العربية فى

حلب وما كان لها من شأن عظيم فى مقاومة البيزنطيين قرابة تسعين سنة . . .

واستطاع واحد من الأسرة العباسية الفرار إلى مصر مستنجداً ، وكانت تحت حكم سلاطين المماليك التركية ، ثم فشل فى محاولة لاستعادة بغداد فهزم وقتل قبل وصوله المدينة ، ثم تولى آخر من سلالة العباسيين الخلافة الروحية فى القاهرة ، فقبل السلطان الظاهر بيبرس ذلك بعد أن استشار فقهاء الدين ، وهكذا استظل الخلفاء تحت رعاية مصر لمدة مائتين وخمسين سنة ، حتى فتح العثمانيون مصر (١٥١٧ م) ، ومن ثم انتقلت الخلافة إلى القسطنطينية حيث بقيت حتى عام ١٩٢٤ م حينما ألغاها مصطفى كمال . وكان آخر من تولاها السلطان عبد الحميد .


الشكل الهـلالى
شكل الهلال ذى الجناحين
شكل الهلال المعكوس

الصف المستوى

القلب

خيل الميمنة الميسرة خيل

الساقة



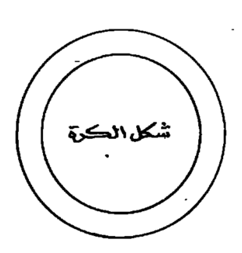
الصف المعطوف



الساقة والامتعة


شكل المعين


شكل المثلث


شكل الكرة

فهرس

الموضوع	الصفحة

الكتاب القادم :

لئلا نحترف [illegible]

[illegible] التغلبى

رقم الإيداع	١٩٧٧/٤٠٤٨
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – [illegible]

٣/٧٧/٩٩٠ ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



هذا الكتاب

لمحات موجزة عن الحرب عند العرب منذ القدم ، وكيف تطورت أساليبها القتالية فى فجر الإسلام حتى تمت تلك الفتوحات الإسلامية الخارقة ، وما كانت عليه عدة القتال وتنظيم التجنيد . والتعبئة وغيرها من أساليب التنظيم المتعلقة بالحروب حتى أصبحت القيادة العربية والفروسية الإسلامية مضرب المثل فى التاريخ العسكرى . .